سرّ خفايا

وما بينهما

في آياتِ السّمواتِ والأرضِ

لغزُ المكانِ.. وإعجازُ القرآنِ

تأليف
وديعة عمراني سوهلي

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title	: **THE HIDDEN SECRETS OF ﴿AND ALL THAT IS BETWEEN﴾ IN THE SIGNS OF HEAVENS AND EARTH** The mystery of place..... And the inimitability of the Holy Coran	الكتاب : سرّ خفايا ﴿وما بينهما﴾ في آيات السموات والأرض لغز المكان .. وإعجاز القرآن
Classification:	Qur'anic studies	التصنيف : دراسات قرآنية
Author	: Ouadia Amrani	المؤلف : وديعة عمراني سوهلي
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
Pages	:160	عدد الصفحات : 160
Size	: 17*24	قياس الصفحات: 17*24
Year	: 2011	سنة الطباعة : 2011
Printed in	: Lebanon	بلد الطباعة : لبنـــان
Edition	: 1st	الطبعة : الأولى

الآراء والاجتهادات الواردة في هذا الكتاب
تعبّر عن رأي المؤلف وحده
ولا تُلزم الناشر بأي حال من الأحوال

جميع الحقوق محفوظة
2011

ISBN 978-2-7451-7012-5
ISBN 2-7451-7012-0

الإهداء

أهدي هذا العمل والجهد المتواضع إلى من أنعم علينا بنعمة العلم والإيمان، ومهد لعباده سبل الهداية والخير والرشاد، وزكاهم بضياء العقل ونور الفطرة، ووهبهم من الخيرات والنعم كلها، وأنزل على رسله الرسالات ليخرج الناس من ضلال الظلمات إلى أنوار الخيرات. أهدي هذا الجهد الضعيف - المتواضع - إلى ربي خالقي ورازقي وهاديني ومرشدي {الله جل جلاله}، المتفضل علينا بكل هذه النعم وهذه الخيرات. وإلى روح سيد الأولين والآخرين الرسول المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، والى أرواح جميع الرسل والأنبياء الكرام المرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وإلى وطني وأهلي في كل زمان ومكان، وإلى كل العلماء الأجلاء الذين ساندونا في هذا العمل المتواضع بالدعم والمشورة، وأخيراً إلى كل من دعا لنا في ظهر الغيب، راجية من المولى عز وجل أن يتقبل منا هذا العمل المتواضع ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

الحمد لله الذي خَلق فهدى وأعطى ثُمَّ أنعَم، وشَرَّف الإنسان وزكَّاه بنور العلم ونعمة العقل، وجعلنا من عباده المسلمين، وأنزل على عبده ورسوله المصطفى الأمين (عليه أفضل الصلاة والتسليم) آيات الكتاب الحكيم، الذي ينطق بالحق المبين، ويشهد بالمعجزة الخالدة للنبي الأمي الأمين خاتم النبيين والمرسلين.

وإنَّ لَفي الحديث عن - مجال الإعجاز العلمي - برهان من براهين الله المتعددة على بيان هذه المعجزة الخالدة، التي تَنطِق بها آياته المجيدة، فهو نور لمن أراد معرفة لذة الخشوع والتقرب إلى الله وهو هدى وشفاء لمن ابتعد قلبه وغفل عن ذكر الله، وهو جنة الحب الإلهي لمن أراد العيش في محراب الله، وهو فوق كل هذا وذاك الكتاب المُهيمن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِن خلفه مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة فصلت: 41 - 42].

وإننا ومن خلال حديثنا عن ما يكنه مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من أهمية في خدمة كتاب الله الكريم وسنة رسوله (عليه الصلاة والسلام)، وبيان حقائقه العظيمة ومعجزاته الخالدة يسعدني - مِن خلال هذا المبحث المتواضع - أن أضَع بين أيديكم نموذجاً متواضعاً من نماذج إشراقات هذا الإعجاز، مستعرضين آية من آيات الله العظيمة في مجال علوم الكون وأسراره، هذا الكون الذي ما زال العلم يقف عاجزاً عند بابه، محاولاً فهم أحواله، والتعرف على

بُنيانه ودراسة قوانينه، واكتشاف أبعاده وأغواره.

وموضع بحثنا الحالي يطرح بعض الحقائق الإعجازية لآية قرآنية عظيمة، تُعد من أهم الآيات التي تطرقت إلى أسرار وألغاز هذا الكون العجيب، وهي: سر خفايا ((وما بينهما)) في آيات السماوات والأرض (لغز المكان!!.. وإعجاز القرآن).

فكلنا يعلم أنَّ الآيات الكونية التي تستعرض موضوع (خلق السماوات والأرض) قد تَعدَّد ذِكرها وتَعدَّدت مواضعها في كل سورة من سور القرآن الكريم، وكل آية منها تَحمِل حقائق ومعجزات قرآنية عظيمة ومبهرة.

ولكن ما شَدَّ انتباهي ومن خلال تِعداد تلك الآيات ودراستها وتدبر معانيها، أنَّ البعض منها جاء دون ذِكر كلمة أو لفظ (وما بينهما) أي فقط (السموات والأرض) أو (السماء والأرض) وهي الأكثر تعدُّداً (وسيأتي ذكرها تفصيلًا في هذا المبحث)، وأخرى جاءت تحتوي لفظ وكلمة (وما بينهما) مقرونة مع ذِكر السموات والأرض.

مثال:

- يقول الحق تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران: 83]، بالآية الكريمة جاء ذكر السموات والأرض دون ذكر لفظ (وما بينهما).

- أما في الآية التالية: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۛ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان: 59] فلقد ذُكِرت السموات والأرض مقرونة بلفظ وكلمة (وما بينهما).

والسؤال المطروح:

ما هو السر وراء هذا الاختلاف؟!..

لِما مرة ذُكِرت السماوات والأرض لوحدها ومرة أخرى مقرونة بـ (وما بينهما)؟؟..

سيقول قائل إنَّ هذا الأمر عادي وكل الصيغتين لا فرق بينهما على الإطلاق، فكلاهما تشيران إلى خلق السماوات والأرض!..

ووجود أو عَدَم وجود لفظ (وما بينهما) لا يَفرِق في أيّ أمر أو أيّ حقيقة؟!

سنُجيب ونقول: لا..

إنَّ هذا الأمر مُخالِف تماماً لحقيقة بيان كلمات الله تعالى في مُحكَم آياته، فأيّ كلمة أو أيّ حرف من حروف القرآن العظيم، وموضع أيّ كلمة أو أيّ حرف من حروف القرآن العظيم، ووجود أيّ حرف أو كلمة من عدمه في آية أو أخرى من آيات القرآن العظيم، له حِكَم ودلائل وحقائق عديدة، فهو كلام الله تعالى الخبير العليم، لذلك حين تُذكَر كلمة هنا في تلك الآية ولا تُذكَر هناك في آية أخرى فهناك فرق، وهناك فرق كبير، وحِكَم غائبة، وهناك إعجاز عظيم يشمله ذلك المعنى داخل تلك الآية.

لذا عند دراستي لتلك الآيات التي جاءت بلفظ ((وما بينهما)) مع (الآيات الأخرى) ومحاولتي المتواضعة معرفة أَوْجُه المقارنة والمفارقة بينهما، وقفت - وبفضل من الله تعالى - على حقائق عظيمة تضعنا أمام منهج واضح يحل العديد من الألغاز المرتبطة بسرّ ((وما بينهما)) وخلق هذا الكون العظيم.

وهذه الحقائق هي - ملخص بحثنا الحالي - الذي سنطرحه بين أيديكم، فنسأل المولى عز وجل أن يكون قد وفقَنا لِحُسن التدبر والتفكر والاجتهاد، وأَنْعَم علينا بنعمه وفضله، لمحاولة الكشف عن بعض هذه الحقائق العظيمة، وتقديمها لأمتنا وديننا الحنيف، خدمة لكتاب الله وسنة رسوله عليه (أفضل الصلاة والسلام)، كحجة بينة في وجه كل من يزال يُنكِر معجزة هذا القرآن العظيم، مستكبراً عن الحق، جاحداً ومُنكِراً لفضل الله تعالى عليه ونعمه.

عناوين الحقائق

مدخل:

البحث في سر إعجاز: (وما بينهما)

عناوين الحقائق

إنَّ البحث في سر إعجاز (وما بينهما) سيقودنا إلى:

1 - معرفة سر توسع السماء: ونقصد بالسماء كل السماوات السَّبع (السماء الأولى ثُمَّ التي تليها ثُمَّ التي تليها إلى السابعة طباقاً) مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات: 47].

2 - معرفة الفرق بين حقيقة مكان ((وما بينهما)) مع باقي الكون أي مع (السماوات السَّبع والأرض)، وهذا الأمر سيقودنا إلى الوقوف على حقيقة هامة تعد من المحاور الأساسية لهذا البحث وهو سؤال نطرحه: ماذا يتواجد في مكان ((وما بينهما)) مقارنة مع ما يتواجد في (السموات والأرض)؟!.. وإنَّ الإجابة عن هذا السؤال سيُحِيلنا إلى لغز مكان تواجد مخلوقات الله تعالى في هذا الكون العظيم.

3 - الأمر الثالث (وهو تابع للأمر السابق): فبالرد على لغز تواجد باقي مخلوقات الله تعالى، سنستطيع أن نُقدِّم من خلاله ملفاً إعجازياً خاصاً وعظيماً يناقش ويُفنِّد كل ما يُروَّج الآن حول ظاهرة ظهور الأطباق الطائرة؟! وما قيل حولها من إشاعات كقولهم بزيارة تلك المخلوقات الفضائية للأرض، ولقائهم مع بعض الأشخاص، بل واختطاف بعضهم (بُغيَة إجراء تجارب خاصة علينا نحن البشر لمعرفتنا أكثر؟!..).

4 - وستُمكِّننا أيضاً هذه الدراسة من كشف النقاب عن حقيقة هامة وهي: هل سَيتمكَّن الإنسان من رؤية واكتشاف كل السماوات السَّبع (حتى السماء

السابعة)، ونقصد بالاكتشاف هنا الرؤية العلمية واكتشاف أغوار الكون.

5 - وإنَّ الرد على هذه النقطة الأخيرة ستقودنا إلى طرح بعض خيوط المعرفة أو الأطروحات حول حقيقة المادة المظلمة في الكون والثقوب السوداء، وغيرها مِمَّا توصل إليه العلم الحديث حالياً، بل وأيضاً الرد على نظرية هل يستطيع الإنسان السفر عبر الزمن؟!..

6 - وأخيراً، سَنختِم بحثنا بدعوى ونداء، نطالب فيه علمائنا الأفاضل في شتى المجالات بضرورة النهوض وإعطاء الأولوية للبحث العلمي، وعلى رأسه السبق القُرآني في الكشف عن هذه الحقائق العلمية، ووضع المنهج والطريق الصحيح للوصول إليها، ويكون لنا بذلك موضع قدم جاد في ما يُروَّج الآن من أبحاث ودراسات غربية في علوم الكون، وحيرة هذه الأخيرة في الوصول والرد على العديد من الألغاز والأسرار في شتى النظريات المطروحة والألغاز الحاضرة.

الحقيقة الأولى..

سر توسع السماء

مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [**الذاريات:** 47]

إنَّ هذه الآية الكريمة تُشير إلى معاني في غاية الأهمية والوضوح فالمعنى الأول يشير إلى عظمة بناء هذا الكون، وهو بناء محكم قوي ومتقن، فلقد خلق الله السماء وسوَّاها سبع سموات طباقاً (**طبقاً فوق طبق**)، **لا تفاوت فيها ولا فطور، يقول الحق تعالى** ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ﴾ [**الملك:** 3]، **وقوله عز وجل** ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ ﴾ [**نوح: 15**].

فكما جاء في تفسير كلمة (طباقاً) في قول ابن كثير (رحمة الله عليه رحمة واسعة): (أَيْ طَبَقَة بَعْد طَبَقَة وَهَلْ هُنَّ مُتَوَاصِلَات بِمَعْنَى أَنَّهُنَّ عُلْوِيَّات بَعْضهمْ عَلَى بَعْض أَوْ مُتَفَاصِلَات بَيْنهنَّ خَلَاء؟ فِيهِ قَوْلَانِ أَصَحّهمَا الثَّانِي كَمَا دَلَّ ذَلِكَ حَدِيث الْإِسْرَاء وَغَيْره وَقَوْله تَعَالَى ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ ﴾ أَيْ بَلْ هُوَ مُصْطَحِب مُسْتَوٍ لَيْسَ فِيهِ اِخْتِلَاف وَلَا تَنَافُر وَلَا مَخَافَة وَلَا نَقْص وَلَا عَيْب وَلَا خَلَل وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى ﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ أَي اُنْظُرْ إِلَى السَّمَاء هَلْ تَرَى فِيهَا عَيْبًا أَوْ نَقْصًا أَوْ خَلَلًا أَوْ فُطُورًا قَالَ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَالضَّحَّاك وَالثَّوْرِيّ وَغَيْرهمْ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ أَيْ شُقُوق وَعَنِ السُّدِّيّ ﴿ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ أَيْ مِنْ خُرُوق وَقَالَ اِبْن عَبَّاس فِي رِوَايَة ﴿ مِن فُطُورٖ ﴾ أَيْ

مِنْ وَهَاء وَقَالَ قَتَادَة ﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ أَيْ هَلْ تَرَى خَلَلًا يَا اِبْن آدَم؟).

■ هل السموات السّبع متواصلات أم متفاصلات؟!

ونطرح نحن - أيضاً - نفس السؤال كما طرحه ابن كثير في تفسيره لكلمة (طباقاً)، ونقول: هل السموات السّبع متواصلات أم متفاصلات وبينهم خلاء!؟..

وسنرد بالحجة والبينة العلمية، ونقول بنفس قول الرأي الثاني: بل هُنَّ متفاصلات وبينهما خلاء.

وحُجَّتنا في ذلك ما جاء في المعنى الثاني لنفس الآية الكريمة وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾، أي إنَّ هذا البناء المحكم البديع المتقن من السموات السَّبع كما تراه يا بني آدم، هو في توسع دائم وامتداد مستمر إلى أنْ يشاء الله تعالى، ولقد ثَبت بالفعل في عصرنا الحالي واكتشف العلماء أنَّ ما نراه كجزء مرئي من هذا الكون هو في تمدد وتوسع كبير يُدهِش العقل ويأخذ بالألباب، أطلقوا على هذه الظاهرة عنوان (إنَّ الكون يتمدَّد)، وهو وما زال لحد الساعة في هذا التمدُّد والتوسع، حيث تَبتعِد المجرات التي نراها عن مجرتنا وكذلك عن بعضها البعض بسرعات فائقة وهائلة.

وإنْ كان الأمر كذلك - وبهذا المعنى - فهذا لن يعني لنا إلاّ حقيقة واحدة: أنَّ السماء الأولى الدنيا تتوسَّع وتتمدَّد بالنسبة للسماء الثانية التي تَلِيها، والسماء الثانية كذلك تتمدَّد وتتسِع للتي فوقها (طباقاً).. وهكذا حتّى السماء السابعة.

ولكن تبقى أمامنا علامة استفهام ونقطة أخرى هامة لا بدّ من توضيحها والإشارة إليها، فلا يصح لنا (معنى ولفظاً) أنْ نقول إنَّ هناك شيء ما يتمدَّد ويقوم بحركة ما في هذا الكون، إلاَّ إذا أضفنا إلى تلك الحركة الفِعلية (بالنسبة لماذا)؟!..

وبمعنى آخر أصح، لا يصح لنا القول أنَّ السماء الدنيا تتمدَّد وتتوسَّع إلاّ إذا أضفنا إليها بالنسبة لمن تتمدَّد هذه السماء؟! وأين تتمدَّد؟!.. وما هو ذلك المكان الذي تتمدَّد فيه؟!.. الخ.

ولنا أن نتصور كثافة وضخامة وقوة هذا الجزء من السماء الدنيا (المرئي)، كيف يمكن له مع ضخامته تلك واتساعه ذاك أن يتمدَّد ويتَّسع؟! إلاَّ إذا كان هناك مكان شاسع آخر يستوعب كُلَّ قوة ذلك التمدُّد وسرعة وعظمة ذاك التوسع.

ولنا أنا نتصور - أيضاً - كيف سيكون أمر ذلك التمدُّد في السماء الثانية ثم الثالثة حتّى السابعة..، بما تحمل تلك السموات من قوة واتساع وضخامة وتكوين لا يعلمه إلاّ الله عز وجل.

■ وخُلاصة الفكرة:

إنَّ تمدُّد كل سماء من السموات السَّبع لا يمكن أن يكون إلاّ إذا وُجِد فاصل، أي (مكان.. خلاء) بين كل سماء وسماء، بحيث مِن الصفة والسمة الأساسية لهذا المكان ((وما بينهما)) أن يكون في مقدوره استيعاب تلك القوة العظيمة التي تتمدَّد بها كل سماء عن السماء التي تليها، ولكن ما هو ذلك المكان الكائن بين كل سماء وسماء؟!

هنا نصل إلى أول حقيقة في هذا المبحث، فإنَّ ذلك المكان هو ببساطة ما جاء ذِكرُه في موضع واحد وعشرون آية من آيات القرآن الكريم، وهو لفظ وكلمة (وما بينهما)؟؟ أصل هذا البحث. نَعَم.. إنَّ كل (سماء) تَنفصِل في المكان الذي يوجد (وما بينهما) عن السماء التي تَلِيها (تَعلُوها) وهكذا حتى نصل إلى السماء السابعة.

وإذا جاز لنا أن نقول أو نصف أو نُشبِّه مكان (وما بينهما) فإنَّه كطريق أو مسار؟!. وإنَّ من ماهيته أنّه كخلاء، تتوسَّع فيها كل سماء وسماء، ولكن كما قلنا إنَّ هذا المكان (وما بينهما) لا بدّ أن يكون من القوة والبِنية وذا (تكوين كوني) خاص يؤهله لاستيعاب تلك الطاقة التي تتمدَّد بها كل سماء وسماء بما حملت من آيات عظيمة لا يعلمها ولا يقف على حقيقتها إلاّ الله عز وجل.

■ حديث (معجزة الإسراء والمعراج):

ويَطيب لي هنا - ونحن نتحدث عن كُنْه ذلك المكان - أن أستحضر حديث معجزة الإسراء والمعراج كما جاء في الأحاديث الصحيحة: (وإنا نكتفي هنا بما جاء في صحيح البخاري من روايات حول هذه الرحلة؛ فإتمامًا للرواية التي سقناها في شقِّ الصدر، يُتابع أنَسُ بن مالكٍ عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أنَّ نبيَّ الله (صلى الله عليه وسلم) حدَّثهم عن ليلةَ أُسْرِيَ به: ".. ثُمَّ أُوتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ" - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ - فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى

السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. ففُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالاِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. ففُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا. فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. ففُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. ففُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِي، يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا

إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالاِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى. وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ. فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ. ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ. ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ؛ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ. فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ. قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ. قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي"[1].

وعن أنس بن مالك، قال: كان أبو ذَرٍّ يحدّث أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: "فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ. قَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا،

(1) د.راغب السرجاني .(2008) . " معجزة الإسراء والمعراج " . موقع قصة الإسلام
http://www.islamstory.com/pagination.php?type=articles&cat_id=166

فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالاِبْنِ الصَّالِحِ. قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ. وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ. فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ فَفَتَح ". قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ - وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ.

قَالَ أَنَسٌ: "فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) بِإِدْرِيسَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ. ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى. ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى. ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالاِبْنِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ.

وكان ابن عباس وأبو حَبَّة الأنصاري، يقولان: قال النَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) "ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ ".

قال أنس بن مالك: قال النَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) "فَفَرَضَ اللهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا. فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ. فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهْيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي. ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ ".

هذا، وقد أورد الإمام مسلم عشرين رواية عن الإسراء برسول الله (صلى الله

عليه وسلم) أغلبها تدور حول ما ذكرناه من روايتي البخاري، ولا نُطيل الحديث بتكرارها مرَّة أخرى، وعنها جميعًا يقول ابن كثير: "وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها، يحصل مضمون ما اتَّفقتْ عليه من مسرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى بيت المقدس، وأنه مرَّة واحدة، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه، فإن الخطأ جائز على مَنْ عدا الأنبياء عليهم السلام. ومن جعل من الناس كلَّ رواية خالفت الأخرى مرَّة على حِدَة، فأثبتَ إسراءات متعدِّدة فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير مهرب ولم يحصل على مطلب، وقد صرَّح بعضهم من المتأخِّرين بأنه (صلى الله عليه وسلم) أُسْرِيَ به مرَّة من مكة إلى بيت المقدس فقط، ومرَّة من مكة إلى السماء فقط، ومرَّة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء. وفرح بهذا المسلك، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات، وهذا بعيد جدًّا، لم يُنْقَل هذا عن أحدٍ من السلف، ولو تعدَّد هذا التعدُّد لأَخْبَر النبي (صلى الله عليه وسلم) به أُمَّتَه، ولنقلته الناس على التعدُّد والتكرر[2].

ما نستطيع استنتاجه ومعرفته من خلال هذا الحديث النبوي الشريف الذي يصف لنا معجزة (الإسراء والمعراج) أنَّ ذلك المكان الذي يَفصِل ما بين (الأرض والسماء) و(كل سماء والتي تعلوها) هو كطريق، ومسار، ومعراج.

فهذه - إذن - أول صفاته ومواصفاته (أنَّه طريق مسار ومعراج خلاء ذا مواصفات جِد خاصة) لا يعلمها إلاّ الله تعالى، ولكن ماذا عن مواصفاته الأخرى؟! بما يتميز؟! بما خَصَّه الله تعالى؟!

هذا ما سنحَاول معرفته والإجابة عنه في الجزء الثاني من هذا المبحث، الذي خَصَّصنا له كعنوان: دراسة الفرق بين حقيقة مكان (وما بينهما) مع باقي الكون، أي مع (السموات والأرض)، وكذا ما يتواجد في مكان (وما بينهما) مقارنة بما يتواجد في باقي (السموات والأرض)، وأيضاً الإجابة عن لغز تواجد مخلوقات الله تعالى في هذا الكون العظيم.

(2) نفس المرجع السابق

الحقيقة الثانية..

الفرق بين مكان ((وما بينهما))

وبين السموات والأرض

(سر مكان تواجد مخلوقات الله تعالى)

صَرَّحنا في حديثنا السابق أنَّ هذا المكان ((وما بينهما)) الذي وصفناه كطريق، وكمسار، وكمعراج، له مواصفات خاصة كقدرته على استيعاب قوة تمدُّد كل سماء، وغيرها من الخاصيات والمميزات، ولكن ماذا يتواجد في هذا الطريق مقارنة مع باقي السموات والأرض؟! وبمعنى أَصح - وسَينكب محور بحثنا على هذه الحقيقة - هل توجد في مكان ((وما بينهما)) مخلوقات؟! أي نوع من المخلوقات؟!.. وما يحوي ذلك المكان(وما بينهما) من خصوصيات أخرى؟! ما يحمل من ألغاز؟!.. هذا ما سنحاول معرفته وكشفه والإجابة عنه من خلال هذه السطور القادمة.

ونستطيع أن نصرح - مِن الآن - كمقدمة وعنوان كبير لتلك السطور: أنَّ مكان (وما بينهما) تنعدم فيه بصفة باتة ومطلقة وجود أو تواجد أي من مخلوقات الله تعالى كما جاء ذكرها ووصفها في آيات كتابه العظيم!!.. فذلك المكان إنْ جاز لنا تسميته ووصفه: إنَّه (مادّة مكانية كونية فارغة ومفرغة).

■ جدول الآيات القرآنية التي حملت لفظ (وما بينهما):

ولنبدأ بسم الله الرحمن الرحيم في تبيان أول هذه الحقائق، حيث سنُقدِّم بين أيديكم - كمُستهل لهته المقارنة - جميع الآيات القرآنية التي ذَكرَت كلمة ((وما بينهما)) مقرونة مع (السموات والأرض) أو(السماء والأرض)، وهي بعدد واحد وعشرون آية من آيات القرآن الكريم: (الجدول: 1)

1 - ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة: 17]

2 - ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [المائدة: 18].

3 - ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر: 85].

4 - ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: 65].

5 - ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [طه: 6]

6. ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنبياء: 16].

7 - ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان: 59].

8 - ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الشعراء: 24]

9 - ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشعراء: 28]

10 - ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الروم: 8].

11 - ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [السجدة: 4]

12 - ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾ [الصافات: 5]

13 - ﴿ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾ ﴾ [ص: 10]

14 - ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص: 27].

15 - ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ص: 66].

16 - ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الزخرف: 85].

17 - ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الدخان: 7].

18 - ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الدخان: 38]

19. ﴿ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأحقاف: 3]

20 - ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق: 38].

21 - ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النبأ: 37]

الجدول: (1)

وسيكون هذا (الجدول) بمثابة مرجع ثابت نعود إليه دوماً لعمل المقارنة في الدراسة التي سنُقدِّمها بين أيديكم بإذن الله تعالى.

ومع مُستهلِّها:

■ مقارنة ودراسة الآيات التي حملت لفظ (السموات والأرض) دون لفظ ((وما بينهما)):

■ دراسة الآيات المحورية:

1 - أسلَم مَن في السموات والأرض: في قوله تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران: 83].

الملاحظ في هذه الآية الكريمة أنَّ لفظ (السموات بالأرض) أتى بدون ذِكر لفظ (وما بينهما)، والملاحظة الأكثر أهمية أنَّ آية (السموات والأرض) جاءت مسبوقة بكلمة (أَسْلَمَ مَنْ فِي)، ونَضَع ألف سطر تحت هذا اللفظ ((ومَن في))!!..

فكما جاء في شرح عدد من المفسرين لها قولهم: (أَسْلَمَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض أي اِسْتَسْلَمَ لَهُ مَنْ فِيهِمَا طَوْعًا وَكَرْهًا كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ الْآيَة وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (تفسير ابن كثير) [3].

وكذلك قال القرطبي: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أَي اِسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ وَخَضَعَ وَذَلَّ، وَكُلّ مَخْلُوق فَهُوَ مُنْقَاد مُسْتَسْلِم ؛ لِأَنَّهُ مَجْبُول عَلَى مَا لَا يَقْدِر أَنْ يَخْرُج عَنْه).

*نفهم من هذه التفاسير أنَّ كل ما خلقه الله تعالى وأوجده في السموات والأرض مِن مخلوقات (لا يَعلمُها إلاّ هو جل وعلا)، هي مُنقادة له مُستسلِمة لقدرته عز وجل. ولكن علامة الاستفهام التي تُطرَح أمامنا: لِما لم تُذكَر كلمة(وما بينهما) في هذه الآية؟! لِما لم تأتي مثلاً الآية بمعنى (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وما بينهما)، فلو أتَت مثلاً الآية بهذه الصيغة سنقول: توجد أيضاً مخلوقات في ذلك المكان المتواجد بين كل سماء وسماء، وهي أيضاً مُنقادَة

(3) جميع التفاسير المستشهد بها في هذا البحث (ابن كثير ، القرطبي ، الجلالين ، الطبري) من أمهات كتب وموقع " الإسلام " لوزارة الشؤون/http://quran.muslim-web.com التفسير على موقع " تفسير القرآن الكريم "
http://quran.al-islam.com/arb/ الإسلامية والدعوة والإرشاد.

لله تعالى مُستسلِمة له، ولكن ولأنَّ الآية الكريمة أتَت بدون ذلك، هنا يجب أن نقف وقفة خشوع أمام عظمة كلمات الله تعالى، وما حملت من إعجاز وحقائق عظيمة تقشعِر لها القلوب والأبدان، فالآية الكريمة أتَت دون ذِكر (وما بينهما) لأنه ببساطة ذلك المكان (وما بينهما) لا مخلوقات تتواجد به، إنَّه كما قال عنه المفسرون (خلاء)، إنَّه كما قلنا عنه يحمل مواصفات خاصة لا تُمَكِّن من تواجد أي مخلوقات به، إنَّه مكان خاص وعظيم إنَّه مكان يحمل من القوة ما يُمكِّن من توسع السماوات!!.. إنه مادة كونية عظيمة، ولكنها مادة فارغة من تواجد أيّ مخلوقات بها؟! فما سر ذلك المكان، كيف يمكن أن نُفسِّر كل هذا؟!..

سنمضي في - عرضنا - للإجابة على كُلِّ هذه التساؤلات وإثبات كل هذه الحقائق.

ولكن لنرجع أولاً إلى (الجدول 1) المشار إليه، ولنَنظُر في كلِّ تلك الآيات التي حَمِلت كلمة ((وما بينهما))، هل حَمِلت إحداها كلمة (أسلَم مَن في)؟!.. أبداً، فإذن نحن على المسار الصحيح في هذا البحث وهته المقارنة.

2 - وما فيهن: في قوله تعالى ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: 120].

وكذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [المؤمنون: 71]

نلاحظ أيضاً في هذه الآية الكريمة كما لاحظنا في سابقتها - أنَّ ذكر(وما فيهن) جاء مقروناً فقط (بالسموات والأرض) دون ذكر (وما بينهما)، وكما جاء في تفسير (وما فيهن) أي مِن المخلوقات: (الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ يَقُول تَعَالَى ذِكْره: أَيّهَا النَّصَارَى ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يَقُول: لَهُ سُلْطَان السَّمَوَات وَالْأَرْض، ﴿ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ دُون عِيسَى الَّذِينَ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِلَهكُمْ وَدُون أُمّه، وَدُون جَمِيع مَنْ فِي السَّمَوَات وَمَنْ فِي الْأَرْض ؛ فَإِنَّ السَّمَوَات وَالْأَرْض خَلْق مِنْ خَلْقه وَمَا فِيهِنَّ) (تفسير الطبري).

ونفس السؤال نُعيد طرحه هنا: لما لَم تُذكَر كلمة (وما بينهما) بجانب لفظ (وَمَا فِيهِنَّ)؟! لأنَّه ببساطة (وما بينهما) مكان ذا خواص خاصة، إنّه خلاء(من حيث تواجد مخلوقات الله فيه)، إنّه (مادة كونية عظيمة وفارغة).

ونقارن أيضاً هذه الحقيقة مع الجدول المطروح الخاص بـ (وما بينهما): هل ذُكِرت كلمة (وما فيهن) في موضع الواحد والعشرون آية؟! طبعاً الجواب: لا..

3 - تُسبح له السماوات والأرض: في قوله تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ **[الاسراء: 44].**

إنَّ لفظ ومعنى تسبيح السموات والأرض ومَنْ فيهن (من مخلوقات) لله سبحانه تعالى جاء ذكرها في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، وهي على التوالي كالتالي:

[1]: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ **[الإسراء: 44]**

[2]: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ **[النور: 41]**

[3]: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ **[الحديد: 1]**

[4]: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ **[الحشر: 1]**

[5]: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ **[الحشر: 24]**

[6]: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ **[الصف: 1]**

[7]: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ

ٱلۡحَكِيمِ ۝ ﴾ [الجمعة: 1]

[8]: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝ ﴾ [التغابن: 1]

وممّا جاء في مسألة سَبَّح له أو يُسبِّح له، نستعرض في إيجاز سريع أقوال عدد من المفسرين: (عَن اِبْن عَبَّاس وَأَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأ فِي صَلَاة الْجُمُعَة بِسُورَةِ الْجُمُعَة وَالْمُنَافِقِينَ. رَوَاهُ مُسْلِم فِي صَحِيحه. يُخْبِر تَعَالَى أَنَّهُ يُسَبِّح لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الْأَرْض أَيْ مِنْ جَمِيع الْمَخْلُوقَات نَاطِقهَا وَجَامِدهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ﴿ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ﴾ أَيْ هُوَ مَالِك السَّمَاوَات وَالْأَرْض الْمُتَصَرِّف فِيهِمَا بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْمُقَدَّس أَي الْمُنَزَّه عَنِ النَّقَائِص الْمَوْصُوف بِصِفَاتِ الْكَمَال ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ أَيْ ذُو الْعِزَّة وَالْحِكْمَة فِي شَرْعه وَقَدَره) (تفسير ابن كثير).

وجاء في تفسير القرطبي أيضاً: (يُخْبِر تَعَالَى أَنَّ جَمِيع مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الْأَرْض مِنْ شَيْء يُسَبِّح لَهُ وَيُمَجِّدهُ وَيُقَدِّسهُ وَيُصَلِّي لَهُ وَيُوَحِّدهُ).

وعند الطبري: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ يَعْنِي تَعَالَى ذِكْره بِقَوْلِهِ: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أَنَّ كُلّ مَا دُونه مِنْ خَلْقه يُسَبِّحهُ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِقْرَارًا بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَإِذْعَانًا لِطَاعَتِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾.

وفي تفسير الجلالين: (تُسَبِّح لَهُ" تُنَزِّههُ "وَإِنْ" مَا "مِنْ شَيْء" مِنَ الْمَخْلُوقَات "إِلَّا يُسَبِّح" مُتَلَبِّسًا "بِحَمْدِهِ" أَيْ يَقُول سُبْحَان الله وَبِحَمْدِهِ "وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ" تَفْهَمُونَ "تَسْبِيحهمْ" لِأَنَّهُ لَيْسَ بِلُغَتِكُمْ "إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" حَيْثُ لَمْ يُعَاجِلكُمْ بِالْعُقُوبَةِ).

ونأتي الآن على طرح نفس السؤال: لِما لَم تُذكَر كلمة التَّسبيح بمعناها إلا عند ذكر (السموات والأرض) دون ذكر لفظ (وما بينهما)؟! أظن الإجابة أصبحت واضحة في أذهانكم، فَ (وما بينهما)، هي مكان، طريق بين كل سماء وسماء، أو

أرض وسماء، هي خلاء ذا خواص عظيمة، هي مكان في هذا الكون لازماً أنْ يكون فارغاً من تواجُد أيّ مخلوقات به، لأنَّ فيه وداخله تَتوسَّع السماوات، وتُفتح أبواب السماوات، ويُعرج فيه الأمر من السماء إلى الأرض (بإذنه عز وجل).

4 - انظروا ماذا في السماوات والأرض: في قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس: 101].

تدل هذه الآية الكريمة على دعوة من الله تعالى للنظر وتدبر الآيات الكائنة في جل السموات السَّبع والأرض، وفي هذا قال بعض المفسرين: (يُرْشِد تَعَالَى عِبَاده إِلَى التَّفَكُّر فِي آلَائِهِ وَمَا خَلَقَ الله فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض مِنَ الْآيَات الْبَاهِرَة لِذَوِي الْأَلْبَاب. يَقُول تَعَالَى ذِكْره: {قُلْ} يَا مُحَمَّد لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمك، السَّائِلِيكَ الْآيَات عَلَى صِحَّة مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيد الله وَخَلْع الْأَنْدَاد وَالْأَوْثَان {انْظُرُوا} أَيّهَا الْقَوْم {مَاذَا فِي السَّمَاوَات} مِنَ الْآيَات الدَّالَّة عَلَى حَقِيقَة مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيد الله مِنْ شَمْسهَا وَقَمَرهَا، وَاخْتِلَاف لَيْلهَا وَنَهَارهَا، وَنُزُول الْغَيْث بِأَرْزَاقِ الْعِبَاد مِنْ سَحَابهَا، {وَ} فِي {الْأَرْض} مِنْ جِبَالهَا وَتَصَدُّعهَا بِنَبَاتِهَا، وَأَقْوَات أَهْلهَا، وَسَائِر صُنُوف عَجَائِبهَا ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَكُمْ إِنْ عَقَلْتُمْ وَتَدَبَّرْتُمْ مَوْعِظَة وَمُعْتَبَرًا، وَدَلَالَة عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْل مَنْ لَا يَجُوز أَنْ يَكُون لَهُ فِي مُلْكه شَرِيك وَلَا لَهُ تَدْبِيره وَحِفْظه يُغْنِيكُمْ عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْآيَات) (تفسير الطبري).

وفي تفسير الجلالين: (قُلْ" لِكُفَّارِ مَكَّة "اُنْظُرُوا مَاذَا" أَي الَّذِي "فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض" مِنَ الْآيَات الدَّالَّة عَلَى وَحْدَانِيَّة الله تَعَالَى "وَمَا تُغْنِي الْآيَات وَالنُّذُر" جَمْع نَذِير أَي الرُّسُل "عَنْ قَوْم لَا يُؤْمِنُونَ" فِي عِلْم الله أَيْ مَا تَنْفَعهُمْ).

نفهم أيضاً من هذه الآية حقيقة واحدة: فوجود (مَاذَا فِي) مع (السموات الأرض) دون ذكر (وما بينهما)، يَدل بأنَّ مكان ((وما بينهما)) لا مخلوقات كائنة فيه، فهو خلاء كما وسبق وأنْ وضحنا.

- وعلى نفس المِنوال أَتَت الآيات الكريمات تدلنا على تدبر بما يوجد كآيات في السموات والأرض دون و(ما بينهما):

﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ ﴾ [يوسف: 105]

﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الجاثية: 3]

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: 191]

5 - كلمة (أعلم) وكلمت (بمَن) في السموات والأرض: في قوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء: 55]

وكذلك تمضي باقي الآيات كلها تدل على نفس المعنى ونفس الحقيقة ونفس السياق، بحيث نلاحظ في الآية الكريمة أنَّ كلمة (أعلم) وكلمة (بمن في) السموات والأرض جاءت فقط مع ذكر (السموات والأرض) دون ذكر (وما بينهما). (وبمن في) كما جاء في تفاسيرها تدُل على مخلوقات الله تعالى في سمواته وأرضه يقول القرطبي في تفسيره: أعاد بعد أن قال: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ لِيُبَيِّن أَنَّهُ خَالِقهمْ وَأَنَّهُ جَعَلَهُمْ مُخْتَلِفِينَ فِي أَخْلَاقهمْ وَصُوَرهمْ وَأَحْوَالهمْ وَمَالهمْ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الْمُلْك: 14].

6 - إنَّ كل مَن في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً: في قوله تعالى ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: 93]

والحقيقة أنَّ هذه الآية الكريمة تُعَد مِن (الآيات المحورية) للاستشهاد بها في حقيقة ما ذهبنا إليه، فهي ذَكَرت أولاً (كُلُّ مَنْ فِي) مقرونة فقط بالسموات والأرض دون ذكر (وما بينهما)، والأمر الآخر وجود لفظ (عَبْدًا)، وهذا إنْ دَلَّ على شيء فإنما يدُل على حقيقة هامة بأنَّ ((وما بينهما)) خالية من (فعل وكينونة) وجود أي مخلوقات لله تعالى بها، فهي (خلاء)، ولكنه خلاء عظيم في هذا الكون، لا يعلم حقيقته وحقيقة مهامه وخواصِه إلاّ الله تعالى.

ونحرص دوماً على استحضار بعض التفاسير الخاصة بالآية لدعم شرحنا وما ذهبنا إليه كإثباتات: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾

يَقُول: مَا جَمِيع مِنْ فِي السَّمَاوَات مِنَ الْمَلَائِكَة، وَفِي الْأَرْض مِنَ الْبَشَر وَالْإِنْس وَالْجِنّ ﴿ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴾ يَقُول: إِلَّا يَأْتِي رَبّه يَوْم الْقِيَامَة عَبْدًا لَهُ، ذَلِيلًا خَاضِعًا، مُقِرًّا لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، لَا نَسَب بَيْنه وَبَيْنه. وَقَوْله: {آتِي الرَّحْمَن} إِنَّمَا هُوَ فَاعِل مِنْ أَتَيْته فَأَنَا آتِيه) (تفسير الطبري).

7 - له مَن في السماوات والأرض ومن عِنده: في قوله تعالى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنبياء: 19]

إنَّ قول (مَن) في هذه الآية الكريمة لها من الإشارات والدلالات العظيمة، فهي تعني الشيء (المخلوق) سواء كان جماداً أو غيره من مخلوقات الله تعالى، فالحَجَر نراه في السماء الدنيا، والشهب نراها في السماء الدنيا، والثقوب السوداء نراها في السماء الدنيا (ولكنها تَبتلِع كلَّ شيء يقترب منها وتذهب به إلى مكان ما نَجهلُه؟) وسنأتي - بإذن الله تعالى - على ذكر هذه النقطة الخاصة بالثقوب السوداء وعلاقتها بمكان (وما بينهما) في أجزائنا القادمة من هذا البحث.

ومن الدلالات العظيمة أيضاً بهته الآية الكريمة لفظ (وَمَنْ عِنْدَهُ) وجاء في تفسيرها ما معناه: (الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾. يَقُول تَعَالَى ذِكْره: وَكَيْف يَجُوز أَنْ يَتَّخِذ الله لَهْوًا وَلَهُ مُلْك جَمِيع مَنْ فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض، وَالَّذِينَ عِنْده مِنْ خَلْقه لَا يَسْتَنْكِفُونَ عَنْ عِبَادَتهمْ إِيَّاهُ وَلَا يُعْيَوْنَ مِنْ طُول خِدْمَتهمْ لَهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَسْتَعْبِد وَالِد وَلَده وَلَا صَاحِبَته، وَكُلّ مَنْ فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض عَبِيده، فَأَنَّى يَكُون لَهُ صَاحِبَة وَوَلَد).

8 - إخراج الخبء في السماوات والأرض: في قوله تعالى ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النمل: 25]

إنَّ وجود لفظ (الْخَبْءَ) (مع ما يحمل من معنى ومدلول) في آية السموات والأرض دون أن يُذكَر لفظ ((وما بينهما))، فيه من الدلالات العظيمة والإشارات

الكافية لإثبات نفس الحقيقة.

ولعلنا نطرح هذا السؤال: ألا يوجد (خَبء) في (وما بينهما)؟! وللرد لا بدّ أن نعرف أولاً ما مفهوم كلمة (خَبء) مع سياق الآية الكريمة، ولهذا نستعرض بعض أقوال المفسرين: فيقول ابن كثير في تفسيره (قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيئة في السماء والأرض وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد وقال سعيد بن المسيب الخبء الماء وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبء السموات والأرض ما جعل فيهما من الأرزاق المطر من السماء والنبات من الأرض وهذا مناسب من كلام الهدهد الذي جعل فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس وغيره من أنه يرى الماء يجري في تخوم الأرض وداخلها وقوله ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ أي يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال وهذا كقوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾.

وفي تفسير القدير جاء في كلمة خبء ما قوله: (الذي يخرج الخبء في السموات والأرض" أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما، يقال: خبأت الشيء أخبؤه خباً، والخبء ما خبأته. قال الزجاج: جاء في التفسير أن الخبء ها هنا بمعنى القطر من السماء والنبات من الأرض. وقيل خبء الأرض كنوزها ونباتها. وقال قتادة: الخبء السر. قال النحاس، أي ما غاب في السموات والأرض. وجملة ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ معطوفة على يخرج، والمعنى: أن الله سبحانه يخرج ما في هذا العالم الإنساني من الخفاء بعلمه له كما يخرج ما خفي في السموات والأرض).

* اتفقت التفاسير على معنى موحد لكلمة خَبء (وهو كل شيء مخبوء وخفي في السماوات والأرض)، وحين نقول كل شيء (فالشيء يَحمِل مدلول كل ذرة وكل جسم جماد كائن، أو مِن الكائنات، أو أشياء أخرى لا يَعلَم حقيقتها الكاملة إلا الله تعالى).

ونعود الآن لطرح نفس السؤال: ألا يوجد (خَبء) في مكان (وما بينهما)؟! أظن الإجابة أصبحت واضحة أمامنا، طبعاً لا يوجد ما هو مَخبوء في مكان (وما

بينهما) فمكان ((وما بينهما)) هو كما سبق وإن وضحنا مكان ذا خواص جد خاصة، وكون أَنْ لاشيء من المخلوقات يوجد داخل ذلك الخلاء، فهذا لا يُمكِن أنْ يُفسَّر إلا بمعنى واحد أنَّ ذلك المكان يجب أن يكون فارغاً لأنَّ فيه توجد قوة كبيرة، ومكان لتفاعلات عظيمة تستطيع أن تستوعب تلك الطاقة الهائلة التي تتَوسَّع وتتمدَّد بها كل السموات السَّبع.

9 - فَزِعَ من في السماوات والأرض: في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [النمل: 87].

هذه أيضاً مِن الآيات الدالة على كون ((وما بينهما)) لا مخلوقات فيها، فصفة الفزع جاءت مقرونة فقط بما يوجد في (السموات والأرض) دون ذكر (وما بينهما).

10 - وصَعِقَ مَن في السموات والأرض: في قوله عز وجل ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر: 68]

وعلى نفس منوال الآية السابقة جاءت هذه الآية، فهنا ذُكِرت كلمة (صعق من في السموات والأرض)، ولم تأتي ذكر (وما بينهما) إطلاقاً، وهذا إن دَلَّ على شيء فإنما يدل على أنَّ (وما بينهما) خلاء.

11 - له مَن في السموات والأرض: في قوله تعالى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الروم: 26].

وكذلك قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [البقرة: 116]

أيضاً بالآية الكريمة نلاحظ أنَّ كلمة (مَن في) جاءت مقرونة فقط مع (السموات والأرض) دون ذكر (وما بينهما)، فإذن لا شيء مِن مخلوقات الله تعالى موجودة في (وما بينهما) إنه خلاء، ونُعزِّز هذا القول بذكر كلمة(قانتين) مع نفس الآية الكريمة وهي دالة على معنى (كل مخلوقات الله تعالى)، وفي هذا جاء في

تفسير الجلالين وكذا ابن كثير ما معناه (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض" مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا "كُلّ لَهُ قَانِتُونَ" مُطِيعُونَ).

12 - الإتيان بحبَّة خردل في السموات والأرض: في قوله تعالى ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾ [لقمان: 16]

يقول ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: (يَا بُنَيّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَال حَبَّة مِنْ خَرْدَل " أَيْ إِنَّ الْمَظْلَمَة أَو الْخَطِيئَة لَوْ كَانَتْ مِثْقَال حَبَّة خَرْدَل وَجَوَّزَ بَعْضهمْ أَنْ يَكُون الضَّمِير فِي قَوْله إِنَّهَا ضَمِير الشَّأْن وَالْقِصَّة وَجَوَّزَ عَلَى هَذَا رَفْع مِثْقَال وَالْأَوَّل أَوْلَى وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ " يَأْتِ بِهَا الله " أَيْ أَحْضَرَهَا الله يَوْم الْقِيَامَة حِين يَضَع الْمَوَازِين الْقِسْط وَجَازَى عَلَيْهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْر وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا ﴾ الْآيَة وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ وَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ الذَّرَّة مُحَصَّنَة مُحَجَّبَة فِي دَاخِل صَخْرَة صَمَّاء أَوْ غَائِبَة ذَاهِبَة فِي أَرْجَاء السَّمَاوَات وَالْأَرْض فَإِنَّ الله يَأْتِي بِهَا لِأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَة وَلَا يَعْزُب عَنْهُ مِثْقَال ذَرَّة فِي السَّمَاوَات وَلَا فِي الْأَرْض. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " إِنَّ الله لَطِيف خَبِير" أَيْ لَطِيف الْعِلْم فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْأَشْيَاء وَإِنْ دَقَّتْ وَلَطُفَتْ وَتَضَاءَلَتْ " خَبِير " بِدَبِيبِ النَّمْل فِي اللَّيْل الْبَهِيم).

ومعنى هذا القول أنَّ الله عز وجل قادر على الإتيان بحبَّة خردل وهي أصغر ما تَعرِفون وإنْ كانت داخل صخرة وهي أصلب ما تَعرِفون، أو كانت في موضع آخر في السموات والأرض وهي أقصى ما تَتصوَّرون.

وعدم ذكر (وما بينهما) في هذه الآية الكريمة دالة أيضاً دلالة قاطعة وصريحة أنَّ ذلك المكان (وما بينهما) خلاء (ذا مواصفات خاصة).. فهل هو طريق؟!

13 - عِلم سر كل مَن السموات والأرض: في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣ ﴾ [الأنعام: 3]

وقوله تعالى ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ

غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ﴾ [الفرقان: 6]

إنَّ هذه الآية الكريمة تأتي في معناها مِثل مدلول الآية السابقة، حيث جاء في تفسيرها ما معناه: (وَقَوْله تَعَالَى ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ اِخْتَلَفَ مُفَسِّرُو هَذِهِ الْآيَة عَلَى أَقْوَال بَعْد اِتِّفَاقهمْ عَلَى إِنْكَار قَوْل الْجَهَمِيَّة الْأُوَل الْقَائِلِينَ تَعَالَى عَنْ قَوْلهمْ عُلُوًّا كَبِيرًا بِأَنَّهُ فِي كُلّ مَكَان حَيْثُ حَمَلُوا الْآيَة عَلَى ذَلِكَ فَالْأَصَحّ مِنَ الْأَقْوَال أَنَّهُ الْمَدْعُوّ الله فِي السَّمَوَات وَفِي الْأَرْض أَيْ يَعْبُدهُ وَيُوَحِّدهُ وَيُقِرّ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ مَنْ فِي السَّمَوَات وَمَنْ فِي الْأَرْض وَيُسَمُّونَهُ الله وَيَدْعُونَهُ رَغَبًا وَرَهَبًا إِلَّا مَنْ كَفَرَ مِنَ الْجِنّ وَالْإِنْس وَهَذِهِ الْآيَة عَلَى هَذَا الْقَوْل كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ أَيْ هُوَ إِلَه مَنْ فِي السَّمَاء وَإِلَه مَنْ فِي الْأَرْض وَعَلَى هَذَا فَيَكُون قَوْله ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ خَبَرًا أَوْ حَالًا. "وَالْقَوْل الثَّانِي" أَنَّ الْمُرَاد أَنَّهُ الله الَّذِي يَعْلَم مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الْأَرْض مِنْ سِرّ وَجَهْر فَيَكُون قَوْله يَعْلَم مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تَقْدِيره وَهُوَ الله يَعْلَم سِرّكُمْ وَجَهْركُمْ فِي السَّمَوَات وَفِي الْأَرْض وَيَعْلَم مَا تَكْسِبُونَ وَالْقَوْل الثَّالِث أَنَّ قَوْله ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ وَقْف تَامّ ثُمَّ اِسْتَأْنَفَ الْخَبَر فَقَالَ ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ وَهَذَا اِخْتِيَار اِبْن جَرِير وَقَوْله ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ أَيْ جَمِيع أَعْمَالكُمْ خَيْرهَا وَشَرّهَا) (ابن كثير).

وقيل: الْمَعْنَى وَهُوَ الله يَعْلَم سِرّكُمْ وَجَهْركُمْ فِي السَّمَوَات وَفِي الْأَرْض فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْء ؛ قَالَ النَّحَّاس: وَهَذَا مِنْ أَحْسَن مَا قِيلَ فِيهِ) (تفسير القرطبي).

وعلى نفس المنوال (كعلم السر) تأتي الآية الكريمة (عِلمُ القَول):

14 - عِلمُ القَول: في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ﴾ [الأنبياء: 4]

جاء في تفسير هذه الآية ما معناه "قَالَ رَبِّي يَعْلَم الْقَوْل فِي السَّمَاء وَالْأَرْض" أَيْ الَّذِي يَعْلَم ذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَة وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآن الْمُشْتَمِل عَلَى خَبَر الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ الَّذِي لَا يَسْتَطِيع أَحَد أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ إِلَّا الَّذِي يَعْلَم السِّرّ فِي

السَّمَوَات وَالْأَرْض وَقَوْله" وَهُوَ السَّمِيع الْعَلِيم " أَي السَّمِيع لِأَقْوَالِكُم الْعَلِيم بِأَحْوَالِكُمْ وَفِي هَذَا تَهْدِيد لَهُمْ وَوَعِيد) (ابن كثير).

وبالتّالي عدم ذكر ((وما بينهما)) مع معنى (علم القول والسر) يفيد إفادة قاطعة على أنَّ (وما بينهما) خلاء.

وبنفس المدلول أَتَت الآيات الكريمات ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة: 7].

وكذلك قوله تعالى في سورة الحجرات الآية 16: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾، تفسير ابن كثير للآية الكريمة (أَيْ أَتُخْبِرُونَهُ بِمَا فِي ضَمَائِرِكُمْ ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أَيْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِثْقَال ذَرَّة فِي الْأَرْض وَلَا فِي السَّمَاء وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾).

15 - عِلمُ الغيب والإحاطة بالشيء: في قوله تعالى ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النمل: 65]

جاء في تفسير ابن كثير في شرح معنى قوله (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ) ما معناه: (يَقُول تَعَالَى آمِرًا رَسُوله صَلَّى الله عَلَيْهِ أَنْ يَقُول مُعَلِّمًا لِجَمِيعِ الْخَلْق أَنَّهُ لَا يَعْلَم أَحَد مِنْ أَهْل السَّمَوَات وَالْأَرْض الْغَيْب إِلَّا الله وَقَوْله تَعَالَى: " إِلَّا الله " اِسْتِثْنَاء مُنْقَطِع أَيْ لَا يَعْلَم أَحَد ذَلِكَ إِلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ الْمُنْفَرِد بِذَلِكَ وَحْده لَا شَرِيك لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ الْآيَة وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ إِلَى آخِر السُّورَة وَالْآيَات فِي هَذَا كَثِيرَة وَقَوْله تَعَالَى ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾. أَيْ وَمَا يَشْعُر الْخَلَائِق السَّاكِنُونَ فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض بِوَقْتِ السَّاعَة كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ **أَيْ ثَقُلَ عِلْمهَا عَلَى أَهْل السَّمَوَات وَالْأَرْض).**

أما والإحاطة بالشيء فيقول الله تعالى في محكم آياته ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ **[النساء: 126]**

وَقَوْله "وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الْأَرْض" أَي الْجَمِيع مُلْكه وَعَبِيده وَخَلْقه وَهُوَ الْمُتَصَرِّف فِي جَمِيع ذَلِكَ لَا رَادّ لِمَا قَضَى وَلَا مُعَقِّب لِمَا حَكَمَ وَلَا يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل لِعَظَمَتِهِ وَقُدْرَته وَعَدْله وَحِكْمَته وَلُطْفه وَرَحْمَته وَقَوْله وَكَانَ الله بِكُلِّ شَيْء مُحِيطًا أَيْ عِلْمه نَافِذ فِي جَمِيع ذَلِكَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَة مِنْ عِبَاده وَلَا يَعْزُب عَنْ عِلْمه مِثْقَال ذَرَّة فِي السَّمَوَات وَلَا فِي الْأَرْض وَلَا أَصْغَر مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَر وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ ذَرَّة لِمَا تَرَاءَى لِلنَّاظِرِينَ وَمَا تَوَارَى (ابن كثير).

وعِلم الغيب في قوله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ **[النمل: 75]**

فَقَالَ تَعَالَى " وَمَا مِنْ غَائِبَة " قَالَ اِبْن عَبَّاس يَعْنِي وَمَا مِنْ شَيْء " فِي السَّمَاء وَالْأَرْض إِلَّا فِي كِتَاب مُبِين" وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ **(ابن كثير).**

وعلى نفس المعنى والمدلول جاءت الآيات الأخرى التي تَذكُر عِلم الغيب كقوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ **[النحل: 77].**

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ **[الكهف: 26]**

ولفظ عِلم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ **[العنكبوت: 52]**

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج: 70]

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النور: 64]

* ونلاحظ أنَّ جميع تلك المعاني: (علم الغيب، الإحاطة بالشيء،.. الخ) جاءت مقرونة فقط مع آيات (السموات والأرض) دون ذكر (وما بينهما)، ونظن أنّنا أصبحنا لا نحتاج إلى إيضاح المعنى والمغزى مِن الأمر وحقيقة (وما بينهما) لأنه بات واضحاً جليّاً أمام أعيننا وأعينكم.

16 - إخفاء ما في الصدور: في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [آل عمران: 29]

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية الكريمة ما معناه: (يُخْبِر تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَاده أَنَّهُ يَعْلَم السَّرَائِر وَالضَّمَائِر وَالظَّوَاهِر وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَة بَلْ عِلْمه مُحِيط بِهِمْ فِي سَائِر الْأَحْوَال وَالْأَزْمَان وَالْأَيَّام وَاللَّحَظَات وَجَمِيع الْأَوْقَات وَجَمِيع مَا فِي الْأَرْض وَالسَّمَوَات لَا يَغِيب عَنْهُ مِثْقَال ذَرَّة وَلَا أَصْغَر مِنْ ذَلِكَ فِي جَمِيع أَقْطَار الْأَرْض وَالْبِحَار وَالْجِبَال " وَالله عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير " أَيْ وَقُدْرَته نَافِذَة فِي جَمِيع ذَلِكَ وَهَذَا تَنْبِيه مِنْهُ لِعِبَادِهِ عَلَى خَوْفه وَخَشْيَته لِئَلَّا يَرْتَكِبُوا مَا نَهَى عَنْهُ وَمَا يُبْغِضهُ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عَالِم بِجَمِيعِ أُمُورهمْ وَهُوَ قَادِر عَلَى مُعَاجَلَتهمْ بِالْعُقُوبَةِ وَإِنْ أَنْظَرَ مَنْ أَنْظَرَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ يُمْهِل ثُمَّ يَأْخُذ أَخْذ عَزِيز مُقْتَدِر. وَلِهَذَا قَالَ بَعْد هَذَا ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ الْآيَة).

وذُكِر معنى (إخفاء ما في الصدور أو العلم بما في الصدور) في آيات أخرى بالذكر الحكيم كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فاطر: 38]، ويقول ابن كثير في تفسيرها أي (يُخْبِر تَعَالَى بِعِلْمِهِ غَيْب السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَأَنَّهُ يَعْلَم مَا تُكِنّهُ السَّرَائِر وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الضَّمَائِر

وَسَيُجَازِي كُلّ عَامِل بِعَمَلِهِ).

وكذا قوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾ [التغابن: 4]، أي (ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ عِلْمه بِجَمِيعِ الْكَائِنَات السَّمَائِيَّة وَالْأَرْضِيَّة وَالنَّفْسِيَّة فَقَالَ تَعَالَى " يَعْلَم مَا فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَيَعْلَم مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالله عَلِيم بِذَاتِ الصُّدُور) (ابن كثير).

ولنا هنا في معنى (إخفاء ما في الصدور أو العِلم بما في الصدور) وكما بيَّنت تلك التفاسير نفس الملاحظة بعدم ذكر(وما بينهما) في موضع كل تلك الآيات.

17 - مثقال ذرة في السموات والأرض: في قوله تعالى ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: 61].

ذُكِرت كلمة (مثقال ذرة) مصحوبة بالسموات والأرض في ثلاث مواضع في القرآن الكريم:

الأولى: قوله تعالى ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: 61]

وكذلك قوله عز وجل ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ [سبأ: 3]

وقوله تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ: 22]

وقيل في تفسير مِثقال ذرة (وَمَا تَكُون" يَا مُحَمَّد "فِي شَأْن" أَمْر "وَمَا تَتْلُوا

مِنْهُ" أَيْ مِنَ الشَّأْن أَو الله "مِنْ قُرْآن" أَنْزَلَهُ عَلَيْك "وَلَا تَعْمَلُونَ" خَاطَبَهُ وَأُمَّته "مِنْ عَمَل إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا" رُقَبَاء "إِذْ تُفِيضُونَ" تَأْخُذُونَ "فِيهِ" أَي الْعَمَل "وَمَا يَعْزُب" يَغِيب "عَنْ رَبّك مِنْ مِثْقَال" وَزْن "ذَرَّة" أَصْغَر نَمْلَة "فِي الْأَرْض وَلَا فِي السَّمَاء وَلَا أَصْغَر مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَر إِلَّا فِي كِتَاب مُبِين" بَيِّن هُوَ اللَّوْح الْمَحْفُوظ) (الجلالين).

وفي تفسير ابن كثير ما معناه (يُخْبِر تَعَالَى نَبِيّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَعْلَم جَمِيع أَحْوَاله وَأَحْوَال أُمَّته وَجَمِيع الْخَلَائِق فِي كُلّ سَاعَة وَأَوَان وَلَحْظَة وَأَنَّهُ لَا يَعْزُب عَنْ عِلْمه وَبَصَره مِثْقَال ذَرَّة فِي حَقَارَتهَا وَصِغَرهَا فِي السَّمَوَات وَلَا فِي الْأَرْض وَلَا أَصْغَر مِنْهَا وَلَا أَكْبَر إِلَّا فِي كِتَاب مُبِين كَقَوْلِهِ ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ يَعْلَم حَرَكَة الْأَشْجَار وَغَيْرهَا مِنَ الْجَمَادَات وَكَذَلِكَ الدَّوَابّ السَّارِحَة فِي قَوْله ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾.

كما لاحظتم من خلال كُلِّ تلك التفاسير، فَ(مثقال ذرة) جاء بمعنى أنَّ الله تعالى لا يَخفَى عليه أيّ شيء كان في الأرض أو السماوات (صغُر أو كبُر)، فعلمه وَسِع كُلَّ شيء، وأحاط بكُلِّ شيء، وكُلُّ شيء لا يَخرُج عن دائرة علمه، وخاضع لرقابته ومحفوظ برعايته.

ونلاحظ هنا كما لاحظنا في باقي الآيات، أنَّ كلمة (مثقال ذرة) جاءت مقرونة فقط (بالسموات والأرض) دون ذكر (وما بينهما)، ويدُل هذا على الحقيقة التي أصبحت واضحة الآن في أذهاننا أنَّ موضع (وما بينهما) خلاء، ومن صفته التي اكتسبها الآن من هذه الآية أنْ ليس به (أيّ مثقال ذرة)، ويجب أن نقف عند هذا المدلول وقفة عظيمة لاستنباط حقائقه العلمية، فما معنى أنْ لا يتواجد في مكان (وما بينهما) أيّ مثقال ذرة؟.. سؤال نطرحه ونأمل الإجابة عليه.

18 - فِعل السجود ويَسجُد له من في السموات والأرض: في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرعد: 15]

ولقد أتت كلمة يَسجُد في ثلاث مواضع من القرآن الكريم وهي على التوالي:

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النحل: 49]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: 18].

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرعد: 15].

كلمة السجود كما وصفتها الآيات الكريمة هي سجود كل ما خلق الله تعالى من دواب وكائنات وملائكة متواجدة في السموات والأرض، وكما نلاحظ أنّه هنا أيضاً لم تأتِ إطلاقاً ذِكر كلمة (وما بينهما) ويُحَوّلنا هذا الأمر إلى نفس الدلالة، أنَّ كلمة (وما بينهما) خلاء (لا يعلمه إلا الله تعالى).

ونستعرض الآن بعض ما جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: تفسير كلمة يسجد (يُخْبِر تَعَالَى عَنْ عَظَمَته وَسُلْطَانه الَّذِي قَهَرَ كُلّ شَيْء وَدَانَ لَهُ كُلّ شَيْء وَلِهَذَا يَسْجُد لَهُ كُلّ شَيْء طَوْعًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَرْهًا عَلَى الْكَافِرِينَ " وَظِلَالهمْ بِالْغُدُوِّ " أَي الْبُكْرَة " وَالْآصَال" وَهُوَ جَمْع أَصِيل وَهُوَ آخِر النَّهَار كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ ﴾ فَقَالَ وَلِلَّهِ يَسْجُد مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الْأَرْض مِنْ دَابَّة " كَمَا قَالَ " وَلِلَّهِ يَسْجُد مَنْ فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالهمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَال " وَقَوْله " وَالْمَلَائِكَة وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ " أَيْ تَسْجُد لِلَّهِ أَيْ غَيْر مُسْتَكْبِرِينَ عَنْ عِبَادَته) (ابن كثير).

19 - وما بَثَّ فيهما من دابة: في قولِه تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشورى: 29].

جاء في تفسير قوله تعالى وما مِن دابّة ما معناه: (يَقُول تَعَالَى" وَمِنْ آيَاته "

الدَّالَّة عَلَى عَظَمَته وَقُدْرَته الْعَظِيمَة وَسُلْطَانه الْقَاهِر " خَلْقُ السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَثَّ فِيهِمَا " أَيْ ذَرَأَ فِيهِمَا أَيْ فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض " مِنْ دَابَّة " وَهَذَا يَشْمَل الْمَلَائِكَة وَالْإِنْس وَالْجِنّ وَسَائِر الْحَيَوَانَات عَلَى اِخْتِلَاف أَشْكَالهمْ وَأَلْوَانهمْ وَلُغَاتهمْ وَطِبَاعهمْ وَأَجْنَاسهمْ وَأَنْوَاعهمْ وَقَدْ فَرَّقَهُمْ فِي أَرْجَاء أَقْطَار السَّمَاوَات وَالْأَرْض "وَهُوَ" مَعَ هَذَا كُلّه " عَلَى جَمْعهمْ إِذَا يَشَاء قَدِير " أَيْ يَوْم الْقِيَامَة يَجْمَع الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَسَائِر الْخَلَائِق فِي صَعِيد وَاحِد يَسْمَعهُم الدَّاعِي وَيَنْفُذهُم الْبَصَر فَيَحْكُم فِيهِمْ بِحُكْمِهِ الْعَدْل الْحَقّ) (ابن كثير).

ونفس الملاحظة نطرحها هنا: لِما أتت كلمة (دابّة) فقط داخل مجموعة (السموات والأرض) دون ذِكر ((وما بينهما)).

والجواب: لأنَّ منطقة أو مكان (وما بينهما) لا مخلوقات كائنة فيه.. إنَّه خلاء.

20 - وعلى نفس المِنوال أتت الآية الكريمة ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام: 12].

(لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّه) هَذَا أَيْضًا اِحْتِجَاج عَلَيْهِمْ ؛ الْمَعْنَى قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد " لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض " فَإِنْ قَالُوا لِمَنْ هُوَ؟ فَقُلْ هُوَ "لِلَّهِ" الْمَعْنَى: إِذَا ثَبَتَ أَنَّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض وَأَنَّهُ خَالِق الْكُلّ إِمَّا بِاعْتِرَافِهِمْ أَوْ بِقِيَامِ الْحُجَّة عَلَيْهِمْ، فَاَللَّه قَادِر عَلَى أَنْ يُعَاجِلهُمْ بِالْعِقَابِ وَيَبْعَثهُمْ بَعْد الْمَوْت) (القرطبي).

21 - لله جنود السموات والأرض: في قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح: 4]

وكذا في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾ [الفتح: 7]

ولقد جاء تفسير معنى (ولله جنود السموات والأرض) ما معناه: (قِيلَ: لَمَّا

جَرَى صُلْح الْحُدَيْبِيَة قَالَ اِبْن أُبَيّ: أَيَظُنُّ مُحَمَّد أَنَّهُ إِذَا صَالَحَ أَهْل مَكَّة أَوْ فَتَحَهَا لَا يَبْقَى لَهُ عَدُوّ، فَأَيْنَ فَارِس وَالرُّوم فَبَيَّنَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ جُنُود السَّمَاوَات وَالْأَرْض أَكْثَر مِنْ فَارِس وَالرُّوم. وَقِيلَ: يَدْخُل فِيهِ جَمِيع الْمَخْلُوقَات. وَقَالَ اِبْن عَبَّاس: " وَلِلَّهِ جُنُود السَّمَاوَات " الْمَلَائِكَة. وَجُنُود الْأَرْض الْمُؤْمِنُونَ. وَأَعَادَ لِأَنَّ الَّذِي سَبَقَ عَقِيب ذِكْر الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْش، وَهَذَا عَقِيب ذِكْر الْمُنَافِقِينَ وَسَائِر الْمُشْرِكِينَ. وَالْمُرَاد فِي الْمَوْضِعَيْنِ التَّخْوِيف وَالتَّهْدِيد. فَلَوْ أَرَادَ إِهْلَاك الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ لَمْ يُعْجِزهُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرهُمْ إِلَى أَجَل مُسَمًّى) (القرطبي).

فجنود الله تعالى هي جميع مخلوقاته التي خلقها وكائنة في كونه وكما تلاحظون أنَّ كلمة (جنود) أتَت فقط مقرونة بـ (السماوات والأرض)، فإذن مكان (وما بينهما) لا جنود فيه أي لا مخلوقات أهو طريق تمر منه جنود الله المُرسَلة من عنده؟!..

ما الحكمة مِن جَعْل مكان (وما بينهما) لا مخلوقات فيه ولا جنود؟! ما يُميِّز منطقة (وما بينهما) عن منطقة (السماوات والأرض)؟؟ هذه أسئلة تطرح نفسها علينا بإلحاح، حيث نرغب من خلالها إثارة عقولكم لتتدبر جميعاً معانيها.. ونحاول الوقوف على بعض حقائقها.

22 - كلمة سخَّر لكم: في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: 20]

وكذلك في قوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: 13]

ولقد جاء في تفسير قوله تعالى وسخر لكم ما في السماوات والأرض ما معناه: (بِأَنَّهُ سَخَّرَ لَهُمْ مَا فِي السَّمَاوَات مِنْ نُجُوم يَسْتَضِيئُونَ بِهَا فِي لَيْلهمْ وَنَهَارهمْ وَمَا يَخْلُق فِيهَا مِنْ سَحَاب وَأَمْطَار وَثَلْج وَبَرَد وَجَعْله إِيَّاهَا لَهُمْ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَمَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْأَرْض مِنْ قَرَار وَأَنْهَار وَأَشْجَار وَزُرُوع وَثِمَار وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعَمه الظَّاهِرَة وَالْبَاطِنَة) (ابن كثير)

"وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَات" مِنْ شَمْس وَقَمَر وَنُجُوم وَمَاء وَغَيْره "وَمَا فِي

الْأَرْض" مِنْ دَابَّة وَشَجَر وَنَبَات وَأَنْهَار وَغَيْرهَا أَيْ خَلَقَ ذَلِكَ لِمَنَافِعِكُمْ "جَمِيعًا" تَأْكِيد "مِنْهُ" حَال أَيْ سَخَّرَهَا كَائِنَة مِنْهُ تَعَالَى "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَات لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" فِيهَا فَيُؤْمِنُونَ) (الجلالين)

ولنا وقفة مع مدلول هذه الآية الكريمة: فلقد حَقَّ تعالى ذِكر (فعل التسخير) بِما يوجد في السموات والأرض بقوله تعالى (مَا فِي)، ولم تأت صيغة الآية بمعنى (سخَّر لكم السموات والأرض)، ولكن بما يوجد في تلك السموات والأرض، ونطرح السؤال: لِما لَم تُذكر هنا أيضاً (وما بينهما)، لأنَّ ذلك المكان لا شيء فيه، فبالتّالي لا يَصِح أنْ يُقَال (مَا فِي) ذلك الخلاء؟!...

23 - يسألُه مَن في السموات والأرض: في قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن: 29]

جاء في تفسير هذه الآية ما معناه: ("يَسْأَلهُ مَنْ فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض" بِنُطْقٍ أَوْ حَال: مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْقُوَّة عَلَى الْعِبَادَة وَالرِّزْق وَالْمَغْفِرَة وَغَيْر ذَلِكَ "كُلّ يَوْم" وَقْت "هُوَ فِي شَأْن" أَمْر يُظْهِرهُ عَلَى وَفْق مَا قَدَّرَهُ فِي الْأَزَل مِنْ إِحْيَاء وَإِمَاتَة وَإِعْزَاز وَإِذْلَال وَإِغْنَاء وَإِعْدَام وَإِجَابَة دَاعٍ وَإِعْطَاء سَائِل وَغَيْر ذَلِكَ) (الجلالين).

ونفس السؤال نطرحه لِما لم تأتي (ويسألُه) مع لفظ (وما بينهما) وأنّت مقرونة فقط (بالسموات والأرض)؟!، لأنّه لا يوجد مخلوق في ((ما بينهما) لكي يَسألَه؟!.. فإذن ذلك المكان (وما بينهما) هو خلاء (هو مادة كونية فراغية) لا يَعلَم خاصيتها إلا الله، ولِمَن أراد الله مِن (أولي العلم).

24 - أنبأهم بأسمائِهم: في قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة: 33]

جاء في تفسير هذه الآية الكريمة ما معناه (قَوْله تَعَالَى " قَالَ يَا آدَم أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَم غَيْب السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَأَعْلَم مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ " قَالَ زَيْد بْن أَسْلَمَ قَالَ أَنْتَ جِبْرَائِيل أَنْتَ مِيكَائِيل أَنْتَ إِسْرَافِيل حَتَّى عَدَّدَ الْأَسْمَاء كُلّهَا حَتَّى بَلَغَ الْغُرَاب. وَقَالَ مُجَاهِد

فِي قَوْل الله " قَالَ يَا آدَم أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ " قَالَ اِسْم الْحَمَامَة وَالْغُرَاب وَاسْم كُلّ شَيْء وَرُوِيَ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر وَالْحَسَن وَقَتَادَة نَحْو ذَلِكَ فَلَمَّا ظَهَرَ فَضْل آدَم عَلَيْهِ السَّلَام عَلَى الْمَلَائِكَة فِي سَرْده مَا عَلَّمَهُ الله تَعَالَى مِنْ أَسْمَاء الْأَشْيَاء قَالَ الله تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ " أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَم غَيْب السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَأَعْلَم مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ " أَيْ أَلَمْ أَتَقَدَّم إِلَيْكُمْ أَنِّي أَعْلَم الْغَيْب الظَّاهِر) (ابن كثير)

يَقُول: أَخْبِر الْمَلَائِكَة. وَالْهَاء وَالْمِيم فِي قَوْله: {أَنْبِئْهُمْ} عَائِدَتَانِ عَلَى الْمَلَائِكَة، وَقَوْله: {بِأَسْمَائِهِمْ} يَعْنِي بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَة. وَالْهَاء وَالْمِيم اللَّتَانِ فِي " أَسْمَائِهِمْ " كِنَايَة عَنْ ذِكْر هَؤُلَاءِ الَّتِي فِي قَوْله: {أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ} {فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ} يَقُول: فَلَمَّا أَخْبَرَ آدَم الْمَلَائِكَة بِأَسْمَاءِ الَّذِينَ عَرَضَهُمْ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَعْرِفُوا أَسْمَاءَهُمْ، وَأَيْقَنُوا خَطَأ قِيلهمْ: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وَأَنَّهُمْ قَدْ هَفَوْا فِي ذَلِكَ وَقَالُوا مَا لَا يَعْلَمُونَ كَيْفِيَّة وُقُوع قَضَاء رَبّهمْ فِي ذَلِكَ، لَوْ وَقَعَ عَلَى مَا نَطَقُوا بِهِ، قَالَ لَهُمْ رَبّهمْ {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَم غَيْب السَّمَوَات وَالْأَرْض} - وَالْغَيْب: هُوَ مَا غَابَ عَنْ أَبْصَارهمْ فَلَمْ يُعَايِنُوهُ - تَوْبِيخًا مِنَ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ قِيلهمْ وَفَرَطَ مِنْهُمْ مَنْ خَطَأ مَسْأَلَتهمْ (تفسير الطبري).

نفهم من هذا التأويل أنَّ الله تعالى طلب مِن آدم أن يُنبّئه بأسماء كلّ ما خلق في السموات والأرض، لذلك جاءت تتمة الآية الكريمة (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، ونلاحظ هنا أيضاً أنَّ كلمة (وما بينهما) لم تُذكَر، أفلا يوجد أسماء لمخلوقات في مكان (وما بينهما)؟! بمعنى آخر: ألا يوجد مخلوقات في ذلك المكان؟! أظن الإجابة واضحة، إذ لو وُجِدت مخلوقات لجاءت الآية الكريمة مقرونة أيضاً بذِكر أسماء ما يوجد في (وما بينهما)، وبالتّالي نستنتج الحقيقة الواحدة أنَّ ((وما بينهما)) ذلك المكان الممتد بين كلّ سماء وسماء.. وهو خلاء.

25 - اختلاف الليل والنهار: في قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ

وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: 164]

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: 190]

﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس: 6]

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف 54]

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ [الزمر: 5]

نلاحظ في الآيات الكريمات أنّ كلمة اختلاف الليل والنهار جاءت مصاحبة فقط مع السموات والأرض ولم تُذكَر إطلاقاً كلمة (وما بينهما)؟!، إذن ألا يوجد ليل أو نهار في مكان (وما بينهما)؟! ونحن نعرف أنَّ اختلاف(الليل والنهار) يرمز إلى تعاقب الزمن؟! إذن ألا يوجد تعاقب للزمن بالمفهوم الذي نعرفه كتعاقب (الليل والنهار) في مكان (وما بينهما)؟!.. أمْ أنّ (وما بينهما) له خواص ((وقوانين زمنية)) مختلفة عمَّا يُمكِن أن يعرفه زمن كُلّ من السماء أو الأرض؟ هل يُسرع الزمان هناك؟! أم للزمان هناك مفهوم آخر؟!..

إنَّ هذه أسئلة نطرحها بغية إثارة فكركم لما يمكن أن يكون عليه مكان (وما بينهما)، أو ما يمكن أن تكون عليه (المادّة الكونية الفراغية) بين السموات والأرض من خواص كونية مُتفرّدة، فالمسلم مُطالَب بالتفكر والتدبر والاجتهاد فذلك طريقه لمعرفة آيات الله في نفسه وفي الآفاق.

قبل المرور إلى الآية التالية (والتي تحمل نفس المدلول) لا بأس إن استعرضنا بعض ما جاء في تفسير هذه الآيات:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ما معناه ("إن في خلق السَّمَاوَات وَالْأَرْض" وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْعَجَائِب "وَاخْتِلَاف اللَّيْل وَالنَّهَار" بِالْمَجِيءِ وَالذَّهَاب وَالزِّيَادَة وَالنُّقْصَان "لَآيَات" دَلَالَات عَلَى قُدْرَته تَعَالَى "لِأُولِي الْأَلْبَاب" لِذَوِي الْعُقُول) (ابن كثير).

(إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ): إِنَّ فِي اخْتِلَاف اللَّيْل وَالنَّهَار" بِالذَّهَابِ وَالْمَجِيء وَالزِّيَادَة وَالنُّقْصَان. "وَمَا خَلَقَ الله فِي السَّمَاوَات" مِنْ مَلَائِكَة وَشَمْس وَقَمَر وَنُجُوم وَغَيْر ذَلِكَ "و" فِي "الْأَرْض" مِنْ حَيَوَان وَجِبَال وَبِحَار وَأَنْهَار وَأَشْجَار وَغَيْرهَا "لَآيَات" دَلَالَات عَلَى قُدْرَته تَعَالَى "لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ" لِقَوْمٍ يَتَّقُونَهُ فَيُؤْمِنُونَ خَصَّهُمْ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُم الْمُنْتَفِعُونَ بِهَا) (الجلالين).

26 - الظلمات والنور: في قوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ [الأنعام: 1].

لقد جعل الله تعالى آيتي النور والظلمات مرتبطة ارتباطاً بما حملت السموات والأرض، ولكن نلاحظ أنَّ ذِكر (وما بينهما) لم يأتي إطلاقاً في هذه الآية الكريمة، فالنور والظلمات جاء مترابطاً ارتباطاً كُلياً مع (السموات والأرض)، وإنْ صَحَّ لنا أن نتساءل ألا يوجد ظلمات في مكان (وما بينهما)؟!، ألا يوجد نور في مكان (وما بينهما)؟! كما ألا يوجد تعاقب ليل أو تعاقب نهار؟؟

فإذن كيف يكون مكان لا ظلمة فيه ولا نور؟! ولا تعاقب ليل أو نهار؟! إنه خلاء!!.. هل هو بمفهوم الخلاء الزمني والمكاني!! أهو زمان ومكان تذوب فيهما كل معنى (لمكان وزمان) السموات والأرض، هل لأنه مكان عرُوج؟!..

ولقد جاء في تفسير معنى الظلمات والنور ما معناه: (الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: {وَجَعَلَ الظُّلُمَات وَالنُّور}. يَقُول تَعَالَى ذِكْرُهُ: الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَات وَالْأَرْض، وَأَظْلَمَ اللَّيْل وَأَنَارَ النَّهَار. كَمَا: **10156** - حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن الْحُسَيْن، قَالَ: ثَنَا أَحْمَد بْن مُفَضَّل، قَالَ: ثَنَا أَسْبَاط، عَنِ السُّدِّيّ: {وَجَعَلَ الظُّلُمَات

وَالنُّور} قَالَ: الظُّلُمَات: ظُلْمَة اللَّيْل، وَالنُّور: نُور النَّهَار. 10157 - حَدَّثَنَا بِشْر بْن مُعَاذ، قَالَ: ثَنَا يَزِيد بْن زُرَيْع، قَالَ: ثَنَا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة، أَمَّا قَوْله: {الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَات وَالْأَرْض وَجَعَلَ الظُّلُمَات وَالنُّور} فَإِنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَات قَبْل الْأَرْض، وَالظُّلْمَة قَبْل النُّور، وَالْجَنَّة قَبْل النَّار. فَإِنْ قَالَ قَائِل: فَمَا مَعْنَى قَوْله إِذَنْ " جَعَلَ "؟ قِيلَ: إِنَّ الْعَرَب تَجْعَلهَا ظَرْفًا لِلْخَبَرِ وَالْفِعْل، فَتَقُول: جَعَلْت أَفْعَل كَذَا، وَجَعَلْت أَقُوم وَأَقْعُد، تَدُلّ بِقَوْلِهَا " جَعَلْت " عَلَى اِتِّصَال الْفِعْل، كَمَا تَقُول: عَلِقْت أَفْعَل كَذَا، لَا أَنَّهَا فِي نَفْسهَا فِعْل، يَدُلّ عَلَى ذَلِكَ قَوْل الْقَائِل: جَعَلْت أَقُوم، وَأَنَّهُ لَا جَعْل هُنَاكَ سِوَى الْقِيَام، وَإِنَّمَا دَلَّ بِقَوْلِهِ " جَعَلْت " عَلَى اِتِّصَال الْفِعْل وَدَوَامه، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْل الشَّاعِر: وَزَعَمْت أَنَّك سَوْف تَسْلُك فَارِدًا وَالْمَوْت مُكْتَنِعٌ طَرِيقَيْ قَادِر فَاجْعَلْ تَحَلَّلْ مِنْ يَمِينك إِنَّمَا حِنْثُ الْيَمِينِ عَلَى اللَّئِيمِ الْفَاجِرِ يَقُول: " فَاجْعَلْ تَحَلَّلْ " بِمَعْنَى: تَحَلَّلْ شَيْئًا بَعْد شَيْء، لَا أَنَّ هُنَاكَ جَعْلًا مِنْ غَيْر التَّحْلِيل. فَكَذَلِكَ كُلُّ جَعْل فِي الْكَلَام إِنَّمَا هُوَ دَلِيل عَلَى فِعْل لَهُ اِتِّصَال، لَا أَنَّ لَهُ خَطًّا فِي مَعْنَى الْفِعْل؛ فَقَوْله: {وَجَعَلَ الظُّلُمَات وَالنُّور} إِنَّمَا هُوَ أَظْلَمَ لَيْلهمَا وَأَنَارَ نَهَارهمَا) (الطبري).

وفي تفسير القرطبي: وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الْمَعْنَى الْمُرَاد بِالظُّلُمَاتِ وَالنُّور فَقَالَ السُّدِّيّ وَقَتَادَة وَجُمْهُور الْمُفَسِّرِينَ: الْمُرَاد سَوَاد اللَّيْل وَضِيَاء النَّهَار وَقَالَ الْحَسَن الْكُفْر وَالْإِيمَان قَالَ اِبْن عَطِيَّة: وَهَذَا خُرُوج عَنِ الظَّاهِر قُلْت: اللَّفْظ يَعُمّهُ وَفِي التَّنْزِيل: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [الْأَنْعَام: 122]. وَالْأَرْض هُنَا اِسْم لِلْجِنْسِ فَإِفْرَادهَا فِي اللَّفْظ بِمَنْزِلَةِ جَمْعهَا وَكَذَلِكَ " وَالنُّور " وَمِثْله ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [غَافِر: 67] وَقَالَ الشَّاعِر: كُلُوا فِي بَعْض بَطْنكُمْ تَعِفُّوا وَقَدْ تَقَدَّمَ وَجَعَلَ هُنَا بِمَعْنَى خَلَقَ لَا يَجُوز غَيْره قَالَهُ اِبْن عَطِيَّة. قُلْت: وَعَلَيْهِ يَتَّفِق اللَّفْظ وَالْمَعْنَى فِي النَّسَق فَيَكُون الْجَمْع مَعْطُوفًا عَلَى الْجَمْع وَالْمُفْرَد مَعْطُوفًا عَلَى الْمُفْرَد فَيَتَجَانَس اللَّفْظ وَتَظْهَر الْفَصَاحَة وَاَللَّه أَعْلَم وَقِيلَ: جَمَعَ " الظُّلُمَات " وَوَحَّدَ " النُّور " لِأَنَّ الظُّلُمَات لَا تَتَعَدَّى وَالنُّور يَتَعَدَّى وَحَكَى الثَّعْلَبِيّ أَنَّ بَعْض أَهْل الْمَعَانِي قَالَ: " جَعَلَ " هُنَا زَائِدَة وَالْعَرَب تَزِيد "جَعَلَ" فِي الْكَلَام كَقَوْلِ الشَّاعِر: وَقَدْ جَعَلْت أَرَى الِاثْنَيْنِ أَرْبَعَة وَالْوَاحِد اِثْنَيْنِ لَمَّا هَدَّنِي الْكِبَر قَالَ النَّحَّاس: جَعَلَ بِمَعْنَى خَلَقَ وَإِذَا كَانَتْ بِمَعْنَى خَلَقَ لَمْ تَتَعَدَّ إِلَّا إِلَى مَفْعُول

وَاحِد. وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى وَمُحَامِل جَعَلَ فِي " الْبَقَرَة " مُسْتَوْفًى).

27 - يَغفِر لمَن يشاء ويُعذِّب من يشاء: في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [آل عمران: 129]

جاء في تفسير هذه الآية الكريمة (قَالَ تَعَالَى " وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الْأَرْض " الْآيَة. أَي الْجَمِيع مِلْكٌ لَهُ وَأَهْلهمَا عَبِيد بَيْن يَدَيْهِ " يَغْفِر لِمَنْ يَشَاء وَيُعَذِّب مَنْ يَشَاء " أَيْ هُوَ الْمُتَصَرِّف فَلَا مُعَقِّب لِحُكْمِهِ وَلَا يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل وَهُمْ يُسْأَلُونَ وَاَلله غَفُور رَحِيم) (تفسير ابن كثير).

إنَّ ذِكر آيات العذاب والمغفرة مقرونة فقط بِما خلق الله تعالى مِن مخلوقات (عبيده) في السموات والأرض دون ذكر (وما بينهما)، يَأتي ليُضَاف كبينة وحجة على ما وصفنا به مكان ((وما بينهما)) كَونُه منطقة خلاء من وجود أيّ مخلوق لمخلوقات الله تعالى بها.

28 - يُجزي من يشاء: في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم: 31]

ونفس السؤال نطرحه هنا، لِما أتَى فِعل الجزاء مقرون فقط بالسموات والأرض دون ذكر ((وما بينهما))، ألا يوجد في مكان (وما بينهما) مخلوقات ستُحاسَب فتجزى بما عملت من خير أو شر؟!

29 - يُحيي ويُميت: في قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: 158]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [التوبة: 116]

﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحديد: 2]

جاء في معنى (يُحيي ويُميت) ما قولُه (يَقُول يُحْيِي مَا يَشَاء مِنَ الْخَلْق بِأَنْ يُوجِدهُ كَيْف يَشَاء، وَذَلِكَ بِأَنْ يُحْدِث مِنَ النُّطْفَة الْمَيِّتَة حَيَوَانًا بِنَفْخِ الرُّوح فِيهَا مِنْ بَعْد تَارَات يُقَلِّبهَا فِيهَا، وَنَحْو ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاء، وَيُمِيت مَا يَشَاء مِنَ الْأَحْيَاء بَعْد الْحَيَاة بَعْد بُلُوغه أَجَله فَيُفْنِيه) (الطبري)

ولقد تَخصَّص ذكر (الحياة والموت) لكل ما خلقه الله تعالى في مكان (السموات والأرض) دون ذكر مكان (وما بينهما)، وهنا يُلِح علينا نفس السؤال: ألا يوجد في مسار (وما بينهما) أي مخلوقات أو غيرها تَحِق عليها (آلية الموت والحياة) كما تواجدها في (السماوات والأرض)؟! فإذن كيف تكون ماهية مكان ((وما بينهما)) ما هي خواصه؟! كيف هو؟!..

■ ونستنتج: حقائق عن سر مكان (وما بينهما).

لقد حاولنا في ما تَقدَّم من آيات (29 عنوان)، وبعد دراسة لها (وبحث ومقارنة) أن نُثبِت - مما لا يُبقي معه أيّ داعي لأيِّ شك أو ريبة - أنَّ مكان (وما بينهما) هو مكان جد مختلف ومُغايِر بالمقارنة مع باقي مكان السموات والأرض:

والحقيقة الأولى: التي خرجنا بها أنَّ لا مخلوقات تتواجد به أو فيه.
الحقيقة الثانية: هو أنَّ ذلك المكان يخلو من آيات النور والظلمات ومن تعاقب الليل والنهار.

الحقيقة الثالثة: أنّه يخلو أيضاً من مفهوم (مثقال ذرة) بمعناها الدقيق والواسع.

الحقيقة الرابعة: وهو يخلو أيضا من مفهوم (مثقال حبة خردل).

الحقيقة الخامسة: وهي من الحقائق الهامة في بيان إعجاز هذا المكان، فمكان (وما بينهما) استثني أيضا من معاني ودلالات لفظ (خبء)... بما يدل على تميز وتفرد ذلك المكان.

فهو مكان ذا خواص وطبيعة جد خاصة، هو مكان ذا مادة كونية فارغة خلاء (يتغير فيها مفهوم الزمن، يتغير فيها مفهوم النور والظلمات، يتغير فيها مفهوم المادة؟!).

ونحن نعتبر أنَّ ما تَقدَّم من آيات هي مِن الآيات المحورية في تبيان هذه

الحقائق بوضوح كامل ومعنى مباشر، أمّا ما سنقدمه الآن في ما تبقى من آيات خاصة بِذكر (السموات والأرض) دون ((وما بينهما))، فهي أيضاً آيات لم تَخرُج عن الحقيقة المُوضَّحة، ولكنها آيات تأتي في الصف الثاني من حيث الاستشهاد، لأنَّ لها معنى غير مباشر، فمثلاً حين يَذكُر الله تعالى مفهوم (قضاء أمر) فإن قضاء الأمر هذا يأتي مُصطحِباً فقط مع (السموات والأرض) وبالتّالي فإن استيضاح هذه الحقيقة جاء بصيغة غير مباشرة.

وسنمر - بإذن الله تعالى - على ما تبقى من تلك الآيات مروراً سريعاً في تلخيص وإيجاز، مستعرضين فقط الإشارات الغير المباشرة الواردة بها، مِمَّا يفيد تأكيد الحقيقة أصل الإعجاز.

■ آيات أخرى:

30 - آية الشفاعة في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: 255].

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: 3]

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: 18]

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: 26]

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر: 44].

أشارت هذه الآيات الكريمات إلى موضوع الشفاعة، فآية الكرسي - مثلاً - ذَكرَت أنْ لا أحد في (السموات والأرض) مِن (خلق الله وعبيده وملائكته) مُرخص لهم الشفاعة إلاّ بإذن الله تعالى، أو لمن ارتضى من عبيده، أما الملاحظة التي تَشتمِلُها هذه الآية الكريمة، فنرى أنَّ فِعل (الشفاعة) أتى مقروناً فقط مع السموات والأرض، وفي هذا إشارة - كما بَيَّنا - غير مباشرة على أنَّ مكان ((وما بينهما)) لا مخلوقات فيه، بل هو طريق مسار بين كل سماء وسماء، ومن صفاته الخاصة أنه خلاء.

وكذلك أتى نفس المفهوم والمعنى في الآية 18 من سورة يونس: يقول تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾، وإنْ كان الخطاب هنا مُوَجهاً لكفار قريش بعبادتهم الأصنام، ولكن الخطاب أيضاً عام وموجه لكل من عبد آلهة أخرى، كما علمنا في تاريخ الوثنية بعبادتهم لآلهة الشمس أو آلهة القمر.. أو غيرها من الآلهة، وكما يُعبَد الآن - في زمننا الحالي - في بعض الديانات الوثنية التي تُقدِّس النار وتَعبُد البقر والحجر... الخ.

أما تتمة الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، فهي بمعنى كما جاء في تفسير الجلالين:

(أَتُخْبِرُونَ الله بِمَا لَا يَكُون فِي السَّمَوَات وَلَا فِي الْأَرْض؟ ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسه الْكَرِيمَة عَنْ شِرْكهمْ وَكُفْرهمْ فَقَالَ " سُبْحَانه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ")، وتفيد هذه الآية الكريمة كما أفادتنا باقي الآيات في معرفة سر مكان (وما بينهما).

وعلى نفس السياق والمعنى أتَت أيضاً الآية 26 من سورة النجم في قوله تعالى بوجود الملائكة (في السموات) دون ذكر (وما بينهما).

31 - (أنى يكون له ولَد): في قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس: 68]

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾ [النساء: 171]

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٗۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: 101].

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [البقرة: 116]

﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان: 2]

الآيات السابقة فيها خطابٌ من الله تعالى إلى الكفار والنصارى والمشركين، أولائك الذين يزعمون أن (اتخذ الله ولدا) (تعالى علواً كبيراً على ما يَصفون): (قَالَ تَعَالَى لَهُمْ "سُبْحَانه" تَنْزِيهًا لَهُ عَنِ الْوَلَد "هُوَ الْغَنِيّ" عَنْ كُلّ أَحَد وَإِنَّمَا يَطْلُب الْوَلَد مَنْ يَحْتَاج إِلَيْهِ "لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الْأَرْض" مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا "إِنْ" مَا "عِنْدكُمْ مِنْ سُلْطَان" حُجَّة "بِهَذَا" الَّذِي تَقُولُونَهُ "أَتَقُولُونَ عَلَى الله مَا لَا تَعْلَمُونَ" اسْتِفْهَام تَوْبِيخ).

فالحق تعالى هو خالق ومالك (السموات والأرض) و(من فيهن) وكل مخلوقات الله هي عَبيده (أَيْ كُلّ شَيْء مِمَّا سِوَاهُ مَخْلُوق مَرْبُوب وَهُوَ خَالِق كُلّ شَيْء وَرَبّه وَمَلِيكه وَإِلَهه وَكُلّ شَيْء تَحْت قَهْره وَتَدْبِيره وَتَسْخِيره وَتَقْدِيره).

وكما تلاحظون فإنَّ جُل تلك الآيات لم يُذكَر فيها إطلاقاً كلمة (وما بينهما) لأنَّ ذلك المكان خلاء.

32 - إرجاع الأمر: في قولِه تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [آل عمران: 109]

جاء في تفسير ابن كثير لهته الآية الكريمة: (" وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي

الْأَرْض " أَي الْجَمِيع مِلْك لَهُ وَعَبِيد لَهُ وَإِلَى الله تُرْجَع الْأُمُور أَيْ هُوَ الْحَاكِم الْمُتَصَرِّف فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة)

- ولقد جاء ذكر معنى (إرجاع الأمر): أيضاً في الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ ﴾ [الحديد: 5]، وجاء في تفسير الجلالين (أي الْمَوْجُودَات جَمِيعهَا).

- معنى يُرجِع الأمر: في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣ ﴾ [هود: 123]

وكذا قوله تعالى ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣ ﴾ [الشورى: 53].

ولقد جاء في تفسير معنى (تَصير الأمور) لابن كثير ما معناه:

(صِرَاط الله " أَيْ شَرْعه الَّذِي أَمَرَ بِهِ الله " الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الْأَرْض " أَيْ رَبّهمَا وَمَالِكهمَا وَالْمُتَصَرِّف فِيهِمَا وَالْحَاكِم الَّذِي لَا مُعَقِّب لِحُكْمِهِ "أَلَا إِلَى الله تَصِير الْأُمُور " أَيْ تَرْجِع الْأُمُور فَيَفْصِلهَا وَيَحْكُم فِيهَا سُبْحَانه وَتَعَالَى عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا).

- يُدبِّر الأمر: في قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾ [الرعد: 2]

* تلاحظون معي أنَّ جميع الآيات التي ذكرناها والتي حملت مفهوم: (تدبير الأمر، أو إرجاع الأمر، أو تَصيير الأمور) جاءت فقط مع آيات (السموات والأرض)، وهذا إنْ دَلَّ على شيء فإنما يدل على أنَّ (وما بينهما) طريق بين سماء وسماء، يُعرج فيه كل أمر وأمر إلى ما شاء الله تعالى وقَدَّر.

33 - قضاء أمر مصحوبة بـ (كن فيكون): في قوله تعالى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝١١٧ ﴾ [البقرة: 117]

وعلى نفس السياق أتت كلمة (قضاء أمر) مصحوبة بآية (كن فيكون)، ولا بدّ أنْ نقف هنا وقفة للاستفاضة في فهم وإيضاح معنى قوله تعالى (قَضَى أَمْرًا) وما قالت به بعض التفاسير، فجاء في تفسير القرطبي (رحمة الله عليه رحمة واسعة) ما معناه: (وَإِذَا قَضَى أَيْ إِذَا أَرَادَ إِحْكَامه وَإِتْقَانه - كَمَا سَبَقَ فِي عِلْمه - قَالَ لَهُ كُنْ. قَالَ اِبْن عَرَفَة: قَضَاء الشَّيْء إِحْكَامه وَإِمْضَاؤُهُ وَالْفَرَاغ مِنْهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْقَاضِي، لِأَنَّهُ إِذَا حَكَمَ فَقَدْ فَرَغَ مِمَّا بَيْن الْخَصْمَيْنِ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيّ: قَضَى فِي اللُّغَة عَلَى وُجُوه، مَرْجِعهَا إِلَى اِنْقِطَاع الشَّيْء وَتَمَامه، قَالَ أَبُو ذُؤَيْب: وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُد أَوْ صَنَع السَّوَابِغ تُبَّع وَقَالَ الشَّمَّاخ فِي عُمَر بْن الْخَطَّاب رَضِيَ الله عَنْهُ: قَضَيْت أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْت بَعْدهَا بَوَائِق فِي أَكْمَامهَا لَمْ تُفَتَّق قَالَ عُلَمَاؤُنَا: " قَضَى " لَفْظ مُشْتَرَك، يَكُون بِمَعْنَى الْخَلْق، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فُصِّلَتْ: 12] أَيْ خَلَقَهُنَّ. وَيَكُون بِمَعْنَى الْإِعْلَام، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الْإِسْرَاء: 4] أَيْ أَعْلَمْنَا. وَيَكُون بِمَعْنَى الْأَمْر، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الْإِسْرَاء: 23]. وَيَكُون بِمَعْنَى الْإِلْزَام وَإِمْضَاء الْأَحْكَام، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْحَاكِم قَاضِيًا. وَيَكُون بِمَعْنَى تَوْفِيَة الْحَقّ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ [الْقَصَص: 29]. وَيَكُون بِمَعْنَى الْإِرَادَة، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [غَافِر: 68] أَيْ إِذَا أَرَادَ خَلْق شَيْء. قَالَ اِبْن عَطِيَّة: "قَضَى" مَعْنَاهُ قَدَّرَ، وَقَدْ يَجِيء بِمَعْنَى أَمْضَى وَيُتَّجَه فِي هَذِهِ الْآيَة الْمَعْنَيَانِ عَلَى مَذْهَب أَهْل السُّنَّة قَدَّرَ فِي الْأَزَل وَأَمْضَى فِيهِ. وَعَلَى مَذْهَب الْمُعْتَزِلَة أَمْضَى عِنْد الْخَلْق وَالْإِيجَاد. ويضيف: (أَمْرًا: الْأَمْر وَاحِد الْأُمُور، وَلَيْسَ بِمَصْدَرِ أَمَرَ يَأْمُر قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَالْأَمْر فِي الْقُرْآن يَتَصَرَّف عَلَى أَرْبَعَة عَشَر وَجْهًا:

الْأَوَّل: الدِّين، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ [التَّوْبَة: 48] يَعْنِي دِين الله الْإِسْلَام.

الثَّانِي: الْقَوْل، وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ يَعْنِي قَوْلنَا، وَقَوْله: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ [طه: 62] يَعْنِي قَوْلهمْ.

الثَّالِث: الْعَذَاب، وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: ﴿ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [إِبْرَاهِيم: 22] يَعْنِي لَمَّا وَجَبَ الْعَذَاب بِأَهْلِ النَّار.

الرَّابِع: عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا ﴾ [آل عِمْرَان: 47] يَعْنِي عِيسَى، وَكَانَ فِي عِلْمه أَنْ يَكُون مِنْ غَيْر أَب.

الْخَامِس: الْقَتْل بِبَدْرٍ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ [غَافِر: 78] يَعْنِي الْقَتْل بِبَدْرٍ، وَقَوْله تَعَالَى: ﴿ لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً ﴾ [الْأَنْفَال: 42] يَعْنِي قَتْل كُفَّار مَكَّة.

السَّادِس: فَتْح مَكَّة، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [التَّوْبَة: 24] يَعْنِي فَتْح مَكَّة.

السَّابِع: قَتْل قُرَيْظَة وَجَلَاء بَنِي النَّضِير، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [البقرة: 109].

الثَّامِن: الْقِيَامَة، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾[النَّحْل: 1]

التَّاسِع: الْقَضَاء، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [يُونُس: 3] يَعْنِي الْقَضَاء.

الْعَاشِر: الْوَحْي، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السَّجْدَة: 5] يَقُول: يَنْزِل الْوَحْي مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْض، وَقَوْله: ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [الطَّلَاق: 12] يَعْنِي الْوَحْي.

الْحَادِي عَشَر: أَمْر الْخَلْق، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشُّورَى: 53] يَعْنِي أُمُور الْخَلَائِق.

الثَّانِي عَشَر: النَّصْر، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾ [آل عِمْرَان: 154] يَعْنُونَ النَّصْر، ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عِمْرَان: 154] يَعْنِي النَّصْر الثَّالِث عَشَر: الذَّنْب، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ [الطَّلَاق: 9] يَعْنِي جَزَاء ذَنْبهَا.

الرَّابع عَشَر: الشَّأْن وَالْفِعْل، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هُود: 97] أَيْ فِعْله وَشَأْنه، وَقَالَ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النُّور: 63] أَيْ فِعْله. انتهى).

كما تَبيَّن لكم - ولاحظتم معي - مِن خلال جُل معاني ودلالات (قضى أمراً) أنَّ هذا الأمر هو خاص بكل أمر في (السموات والأرض)، مِن (نزول الوحي، أو نصر الله، أو القضاء أو القيامة، أو وجوب العذاب لأهل النار، أو الخلق.. الخ)، فلقد أتت جميعها دون ذكر ((وما بينهما)) لأنّ ذلك المكان هو مكان ((مسار)) يسير فيه كل أمر من الله وقضائه، كقوله تعالى في تنزيل الوحي (يَتَنَزَّل الْأَمْر بَيْنهنَّ).

34 - آية الرزق: في قولِه تعالى ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سبأ: 24]

وكذلك جاءت الآية الكريمة تَحمِل معنى (الرزق) في (السموات والأرض) دون ذكر (وما بينهما)، وفي هذا إشارة غير مباشرة دالة على أنَّ مكان ((وما بينهما)) مكان من خلاء، ولقد جاء في تفسير ابن كثير لمعنى هذه الآية الكريمة: (يَقُول تَعَالَى مُقَرِّرًا تَفَرُّده بِالْخَلْقِ وَالرِّزْق وَانْفِرَاده بِالْإِلَهِيَّةِ أَيْضًا فَكَمَا كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ لَا يَرْزُقهُمْ مِنَ السَّمَاء وَالْأَرْض أَيْ بِمَا يَنْزِل مِنَ الْمَطَر وَيَنْبُت مِنَ الزَّرْع إِلَّا الله فَكَذَلِكَ فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَه غَيْره وَقَوْله تَعَالَى " وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَال مُبِين " هَذَا مِنْ بَاب اللَّفّ وَالنَّشْر أَيْ وَاحِد مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مُبْطِل وَالْآخَر مُحِقّ لَا سَبِيل إِلَى أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ وَنَحْنُ عَلَى الْهُدَى أَوْ عَلَى الضَّلَال بَلْ وَاحِد مِنَّا مُصِيب وَنَحْنُ قَدْ أَقَمْنَا الْبُرْهَان عَلَى التَّوْحِيد فَدَلَّ عَلَى بُطْلَان مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْك بِالله تَعَالَى وَلِهَذَا قَالَ " وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَال مُبِين ". قَالَ قَتَادَة قَدْ قَالَ ذَلِكَ أَصْحَاب مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُشْرِكِينَ وَالله مَا نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى أَمْر وَاحِد إِنَّ أَحَد الْفَرِيقَيْنِ لَمُهْتَدٍ وَقَالَ عِكْرِمَة وَزِيَاد بْن أَبِي مَرْيَم مَعْنَاهَا إِنَّا نَحْنُ لَعَلَى هُدًى وَإِنَّكُمْ لَفِي ضَلَال مُبِين).

يَرزقكُم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر: 3].

ولقد أتت أيضاً كلمة ولفظ ومعنى (الرزق) في مواضع آيات أخرى من آيات القرآن العظيم كقوله عز وجل: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ **[النمل: 64]**

وقوله ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ **[يونس: 31]**

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ **[النحل: 73]**

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ **[الأعراف: 96]**

وكذلك قوله تعالى في خزائن السماوات والأرض ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ **[المنافقون: 7]**

ونلاحظ أنَّ جميع تلك الآيات لم يأتي فيها إطلاقاً ذكر (وما بينهما) مما يفيد صحة ما ذهبنا إليه في حقيقة ذلك المكان.

35 - مَقاليد السموات والأرض ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ **[الزمر: 63]**

﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ **[الشورى: 12]**

ذكرنا في الآيات السابقة لفظ ومعنى (تنزيل الرزق) وكذا معنى (خزائن السماوات والأرض)، وعلى نفس السياق والمعنى أتت الآية الكريمة (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، ولقد جاء في بعض تفاسيرها ما معناه: (قَالَ مُجَاهِد: الْمَقَالِيد هِيَ الْمَفَاتِيح بِالْفَارِسِيَّةِ وَكَذَا قَالَ قَتَادَة وَابْن زَيْد وَسُفْيَان اِبْن عُيَيْنَة وَقَالَ السُّدِّيّ " لَهُ

مَقَالِيد السَّمَاوَات وَالْأَرْض " أَيْ خَزَائِن السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَالْمَعْنَى عَلَى كِلَا الْقَوْلَيْنِ أَنَّ أَزِمَّة الْأُمُور بِيَدِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ الْمُلْك وَلَهُ الْحَمْد وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير) تفسير ابن كثير).

وكما نلاحظ هنا أيضاً أنَّ لفظ وكلمة ((وما بينهما)) لم يأتي إطلاقاً ذِكرُها!!..

36 - ميراث السماوات والأرض ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: 180]

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد: 10]

جاء في تفسير القرطبي لمعنى (لله ميراث السماوات والأرض) ما معناه: (أَيْ إِنَّهُمَا رَاجِعَتَانِ إِلَيْهِ بِانْقِرَاضِ مَنْ فِيهِمَا كَرُجُوعِ الْمِيرَاث إِلَى الْمُسْتَحَقّ لَهُ).

والملاحظ أيضاً هنا أنَّ لفظ (وما بينهما) لم يأتي بتاتاً ذكره، بل أتى معنى "الميراث " مقروناً فقط بما هو كائن في السموات والأرض، وهذا إنْ دَلّ على شيء فإنه يَدُل على أنَّ مكان (وما بينهما) خلاء.

37 - ملكوت السموات والأرض ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنعام: 75]

جاء في تفسير معنى هذه الآية الكريمة لابن كثير: (وَقَوْله " وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيم مَلَكُوت السَّمَوَات وَالْأَرْض " أَيْ نُبَيِّن لَهُ وَجْه الدَّلَالَة فِي نَظَره إِلَى خَلْقهمَا عَلَى وَحْدَانِيَّة الله عَزَّ وَجَلَّ فِي مُلْكه وَخَلْقه وَأَنَّهُ لَا إِلَه غَيْره وَلَا رَبّ سِوَاهُ كَقَوْلِهِ ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وَقَوْله ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وَقَالَ ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ

مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ وَأَمَّا مَا حَكَاهُ ابْن جَرِير وَغَيْره عَنْ مُجَاهِد وَعَطَاء وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالسُّدِّيّ وَغَيْرهمْ. قَالُوا وَاللَّفْظ لِمُجَاهِدٍ فَرُجَّتْ لَهُ السَّمَوَات فَنَظَرَ إِلَى مَا فِيهِنَّ حَتَّى اِنْتَهَى بَصَره إِلَى الْعَرْش وَفُرِّجَتْ لَهُ الْأَرَضُونَ السَّبْع فَنَظَرَ إِلَى مَا فِيهِنَّ وَزَادَ غَيْره فَجَعَلَ يَنْظُر إِلَى الْعِبَاد عَلَى الْمَعَاصِي وَيَدْعُو عَلَيْهِمْ فَقَالَ الله لَهُ إِنِّي أَرْحَم بِعِبَادِي مِنْك لَعَلَّهُمْ أَنْ يَتُوبُوا أَوْ يَرْجِعُوا. وَرَوَى اِبْن مَرْدُوَيْهِ فِي ذَلِكَ حَدِيثَيْنِ مَرْفُوعَيْنِ عَنْ مُعَاذ وَعَلِيّ وَلَكِنْ لَا يَصِحّ إِسْنَادهمَا وَالله أَعْلَم. وَرَوَى اِبْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق الْعَوْفِيّ عَن اِبْن عَبَّاس فِي قَوْله " وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيم مَلَكُوت السَّمَوَات وَالْأَرْض وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ " فَإِنَّهُ تَعَالَى جَلَّى لَهُ الْأَمْر سِرّه وَعَلَانِيَته فَلَمْ يُخْفِ عَلَيْهِ شَيْء مِنْ أَعْمَال الْخَلَائِق فَلَمَّا جَعَلَ يَلْعَن أَصْحَاب الذُّنُوب قَالَ الله إِنَّك لَا تَسْتَطِيع هَذَا فَرَدَّهُ الله كَمَا كَانَ قَبْل ذَلِكَ فَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون كَشَفَ لَهُ عَنْ بَصَره حَتَّى رَأَى ذَلِكَ عِيَانًا وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون عَنْ بَصِيرَته حَتَّى شَاهَدَهُ بِفُؤَادِهِ وَتَحَقَّقَهُ وَعَرَفَهُ وَعَلِمَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكَم الْبَاهِرَة وَالدَّلَالَات الْقَاطِعَة كَمَا رَوَاهُ الْإِمَام أَحْمَد وَالتِّرْمِذِيّ وَصَحَّحَهُ عَنْ مُعَاذ بْن جَبَل فِي حَدِيث الْمَنَام " أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَن صُورَة فَقَالَ يَا مُحَمَّد فِيمَ يَخْتَصِم الْمَلَأ الْأَعْلَى؟ فَقُلْت لَا أَدْرِي يَا رَبّ فَوَضَعَ يَده بَيْن كَتِفِي حَتَّى وَجَدْت بَرْد أَنَامِله بَيْن ثَدْيَيَّ فَتَجَلَّى لِي كُلّ شَيْء وَعَرَفْت ذَلِكَ. وَذَكَرَ الْحَدِيث. وَقَوْله " وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ" قِيلَ الْوَاو زَائِدَة تَقْدِيره وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيم مَلَكُوت السَّمَوَات وَالْأَرْض لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ كَقَوْلِهِ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ وَقِيلَ: بَلْ هِيَ عَلَى بَابهَا أَيْ نُرِيه ذَلِكَ لِيَكُونَ عَالِمًا وَمُوقِنًا).

وعن القرطبي قال: (رَوَى مَعْنَاهُ عَلِيّ عَنِ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقِيلَ: كَشَفَ الله لَهُ عَنِ السَّمَوَات وَالْأَرْض حَتَّى الْعَرْش وَأَسْفَل الْأَرَضِينَ. وَرَوَى اِبْن جُرَيْج عَنِ الْقَاسِم عَنْ إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ قَالَ: فُرِّجَتْ لَهُ السَّمَوَات السَّبْع فَنَظَرَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى اِنْتَهَى إِلَى الْعَرْش وَفُرِّجَتْ لَهُ الْأَرَضُونَ فَنَظَرَ إِلَيْهِنَّ وَرَأَى مَكَانه فِي الْجَنَّة).

- ولقد جاء ذكر (ملكوت السماوات والأرض) أيضا في الآية الكريمة: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: 185]

وقال ابن كثير في تفسيرها: (يَقُول تَعَالَى: أَوَلَمْ يَنْظُر هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِنَا فِي مُلْك الله وَسُلْطَانه فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَفِيمَا خَلَقَ مِنْ شَيْء فِيهِمَا فَيَتَدَبَّرُوا ذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ لِمَنْ لَا نَظِير لَهُ وَلَا شَبِيه وَمِنْ فِعْل مَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُون الْعِبَادَة وَالدِّين الْخَالِص إِلَّا لَهُ فَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيُصَدِّقُوا رَسُوله وَيُنِيبُوا إِلَى طَاعَته وَيَخْلَعُوا الْأَنْدَاد وَالْأَوْثَان وَيَحْذَرُوا أَنْ تَكُون آجَالهمْ قَد اِقْتَرَبَتْ فَيَهْلِكُوا عَلَى كُفْرهمْ وَيَصِيرُوا إِلَى عَذَاب الله وَأَلِيم عِقَابه وَقَوْله " فَبِأَيِّ حَدِيث بَعْده يُؤْمِنُونَ " يَقُول فَبِأَيِّ تَخْوِيف وَتَحْذِير وَتَرْهِيب بَعْد تَحْذِير مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرْهِيبه الَّذِي أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْد الله فِي آيِ كِتَابه يُصَدِّقُونَ إِنْ لَمْ يُصَدِّقُوا بِهَذَا الْحَدِيث الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّد مِنْ عِنْد الله عَزَّ وَجَلَّ؟ وَقَدْ رَوَى الْإِمَام أَحْمَد عَنْ حَسَن بْن مُوسَى وَعُثْمَان بْن مُسْلِم وَعَبْد الصَّمَد بْن عَبْد الْوَارِث كُلّهمْ عَنْ حَمَّاد بْن سَلَمَة عَنْ عَلِيّ بْن زَيْد بْن جُدْعَان عَنْ أَبِي الصَّلْت عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " رَأَيْت لَيْلَة أُسْرِيَ بِي كَذَا فَلَمَّا اِنْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاء السَّابِعَة فَنَظَرْت فَوْقِي فَإِذَا أَنَا بِرَعْدٍ وَبَرْق وَصَوَاعِق " وَأَتَيْت عَلَى قَوْم بُطُونهمْ كَالْبُيُوتِ فِيهَا الْحَيَّات تُرَى مِنْ خَارِج بُطُونهمْ قُلْت مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيل؟ قَالَ هَؤُلَاءِ أَكَلَة الرِّبَا فَلَمَّا نَزَلْت إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا فَنَظَرْت إِلَى أَسْفَل مِنِّي فَإِذَا أَنَا بِرَهْجٍ وَدُخَان وَأَصْوَات فَقُلْت مَا هَذَا يَا جِبْرِيل؟ قَالَ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِين يَحُومُونَ عَلَى أَعْيُن بَنِي آدَم أَنْ لَا يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوت السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَأَوْا الْعَجَائِب " عَلِيّ بْن زَيْد بْن جُدْعَان لَهُ مُنْكَرَات).

لقد حرصنا في شرح هذه الآية الكريمة أنْ نَستحضِر ونَتوسَّع في ذكر ما جاء فيها من تفاسير بغية أنْ نقف جميعاً على فهم معنى قوله تعالى: (ملكوت السموات والأرض) والمعنى بتلخيص شديد هو: كُلّ ما خلقَه الله تعالى في هذا الكون العظيم، وكل ما هي عليه السموات السَّبع والأرضين السبع من خلق وتكوين، ويُطرَح أمامنا هنا أيضاً نفس السؤال: لِما لم تُذكَر كلمة وما بينهما مع كلمة (ملكوت السماوات والأرض)، وأظن أنَّ الإجابة على هذا السؤال أصبحت واضحة أمام أعيننا وفي أذهاننا، فمكان (وما بينهما) خلاء..، هو إنْ جاز لنا وصفه (فضاء كوني فارغ).

38 - فاطِر السموات والأرض ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا

تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام: 14]

جاءت كلمة فاطر بمشتقاتها كـ (فطر، فاطر، يتفطرن) في تسعة موضع من آيات القرآن الكريم، وهي كالتّالي:

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: 101]

﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [ابراهيم: 10]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [فاطر: 1]

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الزمر: 46]

﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: 79]

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأنبياء: 56].

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: 11]

قَالَ بَلْ رَبّكُمْ رَبّ السَّمَوَات وَالْأَرْض الَّذِي فَطَرَهُنَّ " أَيْ رَبّكُم الَّذِي لَا إِلَه غَيْره وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمَا حَوَتْ مِنَ الْمَخْلُوقَات الَّذِي اِبْتَدَأَ خَلْقهنَّ وَهُوَ الْخَالِق لِجَمِيعِ الْأَشْيَاء " وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ" أَيْ وَأَنَا أَشْهَد أَنَّهُ لَا إِلَه غَيْره وَلَا رَبّ سِوَاهُ (ابن كثير).

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: 5].

* والجدير بالذكر هنا حقيقة وآية إعجازية في غاية الأهمية: حيث نلاحظ أنَّ كلمة فاطِر جاءت مقرونة فقط مع (السموات والأرض) دون ذكر (وما بينهما)، خِلافاً لكلمة خالق حيث جاء ذكرها مع آية (السموات والأرض)، وأيضاً مع لفظ (وما بينهما) كقولِه تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾ [إبراهيم: 19]. وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: 59].

فما سر هذا الاختلاف وهذه المفارقة؟!.. هل يوجد فرق بين معنى (الخلق) و(الفطر) بارتباطه مع وجود كلمة ولفظ ((وما بينهما)) من عَدمِه؟!..

الفرق بين الخلق والفطر:

إنَّ البحث عن إجابة لهذا السؤال سيتطلب منّا أولاً إعطاء تفسير لمعنى (الخلق) مقارنة مع (الفطر)، فكلمة (فاطِر) كما جاء في تفسيرها هي: (أما الفَطْرُ فهو إيجاد الشيء ابتداء، وأصله في اللغة الشَّقُّ طولاً. يقال: فطر الشيء فهو فاطر، والشيء مفطُور). [4]

وذَكَر أبو العباس أنه سمع ابن الأعرابي، يقول: « أنا أول من فطر هذا». أي: أول من ابتدأه. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام: 14]. أي: مُبدعهما ابتداءً من لا شيء.

وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ما كنت أدري ما (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)، حتى اختصم إليَّ أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها. أي: أنا ابتدأت حفرها) (انظر مقال د. محمد إسماعيل عتوك " الفرق بين الخلق والفطر").

(4) محمد إسماعيل عتوك . "الفرق بين الخلق والفطر " . (2008) .موقع البيان .
http://www.bayan7.com/bayan888/index.php

وعن ابن كثير جاء في تفسير (الفطر) ما معناه "قَالَ بَلْ رَبّكُمْ رَبّ السَّمَوَات وَالْأَرْض الَّذِي فَطَرَهُنَّ" أَيْ رَبّكُم الَّذِي لَا إِلَه غَيْره وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمَا حَوَتْ مِنَ الْمَخْلُوقَات الَّذِي اِبْتَدَأَ خَلْقهنَّ وَهُوَ الْخَالِق لِجَمِيعِ الْأَشْيَاء " وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ" أَيْ وَأَنَا أَشْهَد أَنَّهُ لَا إِلَه غَيْره وَلَا رَبّ سِوَاهُ).

وكذلك تفسيره ("قُلْ أَغَيْر الله أَتَّخِذ وَلِيًّا فَاطِر السَّمَوَات وَالْأَرْض وَالْمَعْنَى: لَا أَتَّخِذ وَلِيًّا إِلَّا الله وَحْده لَا شَرِيك لَهُ فَإِنَّهُ فَاطِر السَّمَوَات وَالْأَرْض أَيْ خَالِقهمَا وَمُبْدِعهمَا عَلَى غَيْر مِثَال سَبَقَ) فالفطر إذن هو إيجاد الشيء ابتداء، فلما إذن لم تتواجد كلمة ((وما بينهما)) إلاّ مع (خالق) ولم تتواجد مع (فاطر)؟!.. أتكون (وما بينهما) لم تُوجَد ابتداء؟! وما وُجِدت أو ما خُلِقت إلا بعد مرحلة (فطر السموات والأرض)؟!

فلنتدبر - معاً - قول الله تعالى في آية فتق ورتق (السموات والأرض): ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: 30]، يقول ابن كثير في تفسيره (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّ السَّمَوَات وَالْأَرْض كَانَتَا رَتْقًا أَيْ كَانَ الْجَمِيع مُتَّصِلًا بَعْضه بِبَعْضٍ مُتَلَاصِق مُتَرَاكِم بَعْضه فَوْق بَعْض فِي اِبْتِدَاء الْأَمْر فَفَتَقَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ فَجَعَلَ السَّمَوَات سَبْعًا وَالْأَرْض سَبْعًا وَفَصَلَ بَيْن السَّمَاء الدُّنْيَا وَالْأَرْض بِالْهَوَاءِ فَأَمْطَرَت السَّمَاء وَأَنْبَتَت الْأَرْض وَلِهَذَا قَالَ " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلّ شَيْء حَيّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ").

نفهم ومن خلال ما عرضنا مِن تفاسير: أنَّ مكان (وما بينهما) ما خُلِق أو ما وُجِد إلاّ بعد عملية فتق كل سماء عن السماء التي تليها، إلى السماء الدنيا والأرض، فإذن ذلك الفضاء الكوني (وما بينهما) لم يوجد ابتداء بل ما (وُجِد أو ما خُلِق) إلاّ بعد مرحلة فطر السماوات والأرض، فاللفظ والصفة الأصح التي يجب أن تُواكِبه هي (الخلق) وليس (الفطر)، فلذلك إنْ بَحَثنا في آيات القرآن الكريم فلن نجد بتاتاً لفظ (الفطر) ولفظ (وما بينهما) متواجدان في نفس الوقت جنباً إلى جنب في نفس الآية الكريمة، وذلك بعكس لفظ (الخلق) ولفظ (وما بينهما).

فالخلق كما جاء شرحه هو: (الخَلْقُ في اللغة أصله: التقدير المستقيم؛ كالتصميم قبل البناء. فالتصميم هو الخلق، والخلق هو التصميم، ويستعمل في إيجاد

الشيء من الشيء؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [الروم: 20][5].

وكخُلاصة: فمكان (وما بينهما) هو فضاء كوني فارغ خُلِق بعد آية (فطر السموات والأرض)، وجاء كنتيجة لآية الفتق، فسُبحان فاطِر (السموات والأرض) وخالِق((ما بينهما)).

39 - الذكور والإناث: في قوله تعالى ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الشورى: 49].

في هذه الآية الكريمة إشارات ودلالات غير مباشرة إلى حقيقة ما ذهبنا إليه بشأن لفظ (وما بينهما)، فلقد أتَت آية (السموات والأرض) مقرونة مع قدرة الله تعالى العظيمة على خَلْق ما يشاء من خَلْقٍ في سمواته وأرضه، وفيها قال ابن كثير في تفسيره (يُخْبِر تَعَالَى أَنَّهُ خَالِق السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَالِكهمَا وَالْمُتَصَرِّف فِيهِمَا وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَأَنَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاء وَيَمْنَع مَنْ يَشَاء وَلَا مَانِع لِمَا أَعْطَى وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ وَأَنَّهُ يَخْلُق مَا يَشَاء " يَهَب لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا " أَيْ يَرْزُقهُ الْبَنَات فَقَطْ قَالَ الْبَغَوِيّ وَمِنْهُمْ لُوط عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام " وَيَهَب لِمَنْ يَشَاء الذُّكُور " أَيْ يَرْزُقهُ الْبَنِينَ فَقَطْ قَالَ الْبَغَوِيّ كَإِبْرَاهِيم الْخَلِيل عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام لَمْ يُولَد لَهُ أُنْثَى).

كما هو الملاحظ فلفظ (وما بينهما) استُثني ذكره من هذه الآية الكريمة، وهي إشارة غير مباشرة دالة على كون فضاء ((وما بينهما)) هو كخلاء كوني.

40 - اختلاف الألسنة: في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم: 22]

على نفس السياق والمعنى أتَت هذه الآية الكريمة مرادفة في معناها إلى انعدام مخلوقات الله تعالى في فضاء (وما بينهما) بانعدام ذكر هذا اللفظ بهته الآية.

جاء في تفسير معنى هذه الآية للطبري قوله: {وَمِنْ آيَاته خَلْق السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَاخْتِلَاف أَلْسِنَتكُمْ وَأَلْوَانكُمْ} يَقُول تَعَالَى ذِكْره: وَمِنْ حُجَجه وَأَدِلَّته أَيْضًا عَلَى أَنَّهُ لَا يُعْجِزهُ شَيْء، وَأَنَّهُ إِذَا شَاءَ أَمَاتَ مَنْ كَانَ حَيًّا مِنْ خَلْقه، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ وَأَعَادَهُ كَمَا كَانَ قَبْل إِمَاتَته إِيَّاهُ خَلْقه السَّمَاوَات وَالْأَرْض مِنْ غَيْر شَيْء أَحْدَثَ ذَلِكَ

(5) نفس المصدر السابق

مِنْهُ، بَلْ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يَمْتَنِع مَعَهَا عَلَيْهِ شَيْء أَرَادَهُ {وَاخْتِلَاف أَلْسِنَتكُمْ} يَقُول: وَاخْتِلَاف مَنْطِق أَلْسِنَتكُمْ وَلُغَاتهَا {وَأَلْوَانكُمْ} يَقُول: وَاخْتِلَاف أَلْوَان أَجْسَامكُمْ).

41 - وَصَوَّرَكُمْ: في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التغابن: 3].

وكذلك جاءت هذه الآية الكريمة في مدلولها كالآيات السابقة في تِبيان حقيقة ما ذهبنا إليه.

42 - الكعبة مقرونة بعلم الله تعالى بما في السموات الأرض: في قوله تعالى ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المائدة: 97].

جاء في تفسير ابن كثير للآية الكريمة ما معناه (جَعَلَ الله الْكَعْبَة الْبَيْت الْحَرَام" الْمُحَرَّم "قِيَامًا لِلنَّاسِ"" يَقُوم بِهِ أَمْر دِينهمْ بِالْحَجِّ إِلَيْهِ وَدُنْيَاهُمْ بِأَمْنِ دَاخِله وَعَدَم التَّعَرُّض لَهُ وَجَبْي ثَمَرَات كُلّ شَيْء إِلَيْهِ وَفِي قِرَاءَة قَيِّمًا بِلَا أَلِف مَصْدَر قَامَ غَيْر مُعَلّ "وَالشَّهْر الْحَرَام" بِمَعْنَى الْأَشْهُر الْحُرُم ذُو الْقَعْدَة وَذُو الْحِجَّة وَالْمُحَرَّم وَرَجَب قِيَامًا لَهُمْ بِأَمْنِهِمْ مِنَ الْقِتَال فِيهَا. "وَالْهَدْي وَالْقَلَائِد" قِيَامًا لَهُمْ بِأَمْنِ صَاحِبهمَا مِنَ التَّعَرُّض لَهُ "ذَلِكَ" الْجَعْل الْمَذْكُور "لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله يَعْلَم مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الْأَرْض وَأَنَّ الله بِكُلِّ شَيْء عَلِيم" فَإِنَّ جَعْله ذَلِكَ لِجَلْبِ الْمَصَالِح لَكُمْ وَدَفْع الْمَضَارّ عَنْكُمْ قَبْل وُقُوعهَا دَلِيل عَلَى عِلْمه بِمَا هُوَ فِي الْوُجُود وَمَا هُوَ كَائِن).

وكذلك في تفسير الطبري قوله ("ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله يَعْلَم مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الْأَرْض وَأَنَّ الله بِكُلِّ شَيْء عَلِيم " يَعْنِي تَعَالَى ذِكْره بِقَوْلِهِ: {ذَلِكَ} تَصْيِيره الْكَعْبَة الْبَيْت الْحَرَام قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْر الْحَرَام وَالْهَدْي وَالْقَلَائِد. يَقُول تَعَالَى ذِكْره: صَيَّرْت لَكُمْ أَيّهَا النَّاس ذَلِكَ قِيَامًا كَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ أَحْدَثَ لَكُمْ لِمَصَالِح دُنْيَاكُمْ مَا أَحْدَثَ مِمَّا بِهِ قِوَامكُمْ، عِلْمًا مِنْهُ بِمَنَافِعِكُمْ وَمَضَارّكُمْ أَنَّهُ كَذَلِكَ يَعْلَم جَمِيع مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الْأَرْض مِمَّا فِيهِ صَلَاح عَاجِلكُمْ وَآجِلكُمْ، وَلِتَعْلَمُوا أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْء عَلِيم، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْء مِنْ أُمُوركُمْ وَأَعْمَالكُمْ، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ حَتَّى يُجَازِي الْمُحْسِن مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيء مِنْكُمْ بِإِسَاءَتِه).

والآية الكريمة جاءت دون ذِكر (وما بينهما)، فلا مخلوقات كائِنة إذن في ذلك المكان.

43 - يَعلَم ما بأيديهم في السماء والأرض: في قوله عز وجل ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ [سبأ: 9]

قال القرطبي في تفسيره (أَعْلَمَ الله تَعَالَى أَنَّ الَّذِي قَدَرَ عَلَى خَلْق السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمَا فِيهِنَّ قَادِر عَلَى الْبَعْث وَعَلَى تَعْجِيل الْعُقُوبَة لَهُمْ، فَاسْتَدَلَّ بِقُدْرَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ السَّمَوَات وَالْأَرْض مُلْكُهُ، وَأَنَّهُمَا مُحِيطَتَانِ بِهِمْ مِنْ كُلّ جَانِب، فَكَيْف يَأْمَنُونَ الْخَسْف وَالْكَسْف. كَمَا فُعِلَ بِقَارُونَ وَأَصْحَاب الْأَيْكَة).

فبالتّالي عدم حضور كلمة (وما بينهما) في ما جاء كمعنى الآية الكريمة أي: أنّ الحق قادر على تعجيل العقوبة للكفار والمشركين فهو خالق (السماوات والأرض ومن فيهن) دالة كون ذلك المكان خلاء.

44 - شركاء: في قوله عز وجل ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يونس: 66]

جاء في تفسير الجلالين ما معناه: (أَلَا إنَّ لِلهِ مَنْ فِي السَّمَاوَات وَمَنْ فِي الْأَرْض" عَبِيدًا وَمُلْكًا وَخَلْقًا "وَمَا يَتَّبِع الَّذِينَ يَدْعُونَ" يَعْبُدُونَ "مِنْ دُون الله" أَيْ غَيْره أَصْنَامًا "شُرَكَاء" لَهُ عَلَى الْحَقِيقَة تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ "إنْ" مَا "يَتَّبِعُونَ" فِي ذَلِكَ "إلَّا الظَّنّ" أَيْ ظَنَّهُمْ أَنَّهَا آلِهَة تَشْفَع لَهُمْ "وَإِنْ" مَا "هُمْ إلَّا يَخْرُصُونَ" يَكْذِبُونَ فِي ذَلِك.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحقاف: 4]

ولقد حملت هذه الآية الكريمة نفس الدلالات على حقيقة ما ذهبنا إليه من إعجاز ((وما بينهما)).

وعلى نفس السياق أتت الآية الكريمة، يقول الحق تعالى ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: 16].

45 - كَفَى بالله وكيلا: في قوله عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ ﴾ [النساء: 132]

جاء في تفسير الطبري ما معناه (الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الْأَرْض وَكَفَى بِاَللَّهِ وَكِيلًا} يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَلِلَّهِ مُلْك جَمِيع مَا حَوَتْهُ السَّمَوَات وَالْأَرْض، وَهُوَ الْقَيِّم بِجَمِيعِهِ، وَالْحَافِظ لِذَلِكَ كُلّه، لَا يَعْزُب عَنْهُ عِلْم شَيْء مِنْهُ، وَلَا يَؤُودهُ حِفْظه وَتَدْبِيره).

ولقد حملت الآية الكريمة نفس البيان والإعجاز عن سر ((وما بينهما)).

46 - يَعرُج في السماء: في قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: 4]

جاء في تفسير الجلالين ما معناه (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْض فِي سِتَّة أَيَّام" مِنْ أَيَّام الدُّنْيَا أَوَّلهَا الْأَحَد وَآخِرهَا الْجُمُعَة "ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْش" الْكُرْسِيّ اسْتِوَاء يَلِيق بِهِ "يَعْلَم مَا يَلِج" يَدْخُل "فِي الْأَرْض" كَالْمَطَرِ وَالْأَمْوَات "وَمَا يَخْرُج مِنْهَا" كَالنَّبَاتِ وَالْمَعَادِن "وَمَا يَنْزِل مِنَ السَّمَاء" كَالرَّحْمَةِ وَالْعَذَاب "وَمَا يَعْرُج" يَصْعَد "فِيهَا" كَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَة وَالسَّيِّئَة "وَهُوَ مَعَكُمْ" بِعِلْمِهِ).

عَدَم حضور لفظ (وما بينهما) بهذه الآية الكريمة يَشهَد على أنَّ ذلك المكان هو طريق بين كل سماء وسماء فيه يَعرُج كُلّ أمر، وهو خلاء.

47 - الساعة وثَقُلت في السموات والأرض: في قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف: 187]

جاء في تفسير الجلالين ما معناه (يَسْأَلُونَك" أَيْ أَهْل مَكَّة "عَنِ السَّاعَة" الْقِيَامَة "أَيَّانَ" مَتَى "مُرْسَاهَا قُلْ" لَهُمْ "إِنَّمَا عِلْمهَا" مَتَى تَكُون "عِنْد رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا" يُظْهِرهَا "لِوَقْتِهَا" اللَّام بِمَعْنَى فِي "إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ" عَظُمَتْ "فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض" عَلَى أَهْلهَا لِهَوْلِهَا "لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَة" فَجْأَة "يَسْأَلُونك كَأَنَّك حَفِيّ" مُبَالِغ فِي السُّؤَال "عَنْهَا" حَتَّى عَلِمْتَهَا "قُلْ إِنَّمَا عِلْمهَا عِنْد الله" تَأْكِيد "وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّاس لَا يَعْلَمُونَ" أَنَّ عِلْمهَا عِنْده تَعَالَى).

وبالتّالي (وما بينهما) لم تُذكَر بل ذُكِر فقط قوله جل وعلا (ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أيْ (خَفِيَ عِلْمُهَا عَلَى أَهْل السَّمَاوَات وَالْأَرْض)، فَلنعلَم أنَّ لا أهل (أي لا مخلوقات كائنة في مكان وما بينهما).

48 - عَرْض الأمانة: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: 72]

جاء في تفسير الجلالين ما معناه ("إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَة" الصَّلَوَات وَغَيْرهَا مِمَّا فِي فِعْلهَا مِنَ الثَّوَاب وَتَرْكهَا مِنَ الْعِقَاب "عَلَى السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَالْجِبَال" بِأَنْ خَلَقَ فِيهِمَا فَهْمًا وَنُطْقًا "فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ" خِفْنَ "مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَان" آدَم بَعْد عَرْضهَا عَلَيْهِ "إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا" لِنَفْسِهِ بِمَا حَمَلَهُ "جَهُولًا" بِهِ).

فإنَّ عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال جاء مقروناً بما خَلَق الله فيهم من فهم وإدراك، ولكن استُثني مكان (وما بينهما) من الذكر لأنه مكان خلاء.

49 - آية في السموات والأرض ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يوسف: 105]

جاء في تفسير ابن كثير ما معناه: (يُخْبِر تَعَالَى عَنْ غَفْلَة أَكْثَر النَّاس عَنِ التَّفَكُّر فِي آيَات الله وَدَلَائِل تَوْحِيده بِمَا خَلَقَهُ الله فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض مِنْ كَوَاكِب زَاهِرَات ثَوَابِت وَسَيَّارَات وَأَفْلَاك دَائِرَات وَالْجَمِيع مُسَخَّرَات، وَكَمْ فِي الْأَرْض مِنْ

قِطَع مُتَجَاوِرَات وَحَدَائِق وَجَنَّات وَجِبَال رَاسِيَات وَبِحَار زَاخِرَات وَأَمْوَاج مُتَلَاطِمَات وَقِفَار شَاسِعَات وَكَمْ مِنْ أَحْيَاء وَأَمْوَات وَحَيَوَان وَنَبَات وَثَمَرَات مُتَشَابِهَة وَمُخْتَلِفَات فِي الطُّعُوم وَالرَّوَائِح وَالْأَلْوَان وَالصِّفَات فَسُبْحَان الْوَاحِد الْأَحَد خَالِق أَنْوَاع الْمَخْلُوقَات الْمُتَفَرِّد بِالدَّوَامِ وَالْبَقَاء وَالصَّمَدِيَّة لِلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَات وَغَيْر ذَلِكَ).

وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ ﴾ [الجاثية: 3]

جاء في تفسيرها للطبري ما معناه (وَقَوْله {إِنَّ فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض لَآيَات لِلْمُؤْمِنِينَ} يَقُول تَعَالَى ذِكْره: إِنَّ فِي السَّمَوَات السَّبْع الْآتِي مِنْهُنَّ نُزُول الْغَيْث، وَالْأَرْض الَّتِي مِنْهَا خُرُوج الْخَلْق أَيّهَا النَّاس {لَآيَات لِلْمُؤْمِنِينَ} يَقُول: لَأَدِلَّة وَحُجَجًا لِلْمُصَدِّقِينَ بِالْحُجَجِ إِذَا تَبَيَّنُوهَا وَرَأَوْهَا).

يقول الحق تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ ﴾ [آل عمران: 191].

حملت الآيات الكريمات دعوة للتفكر في ما خلق تعالى بالسموات والأرض، ولقد استُثني ذكر (وما بينهما) كون ذلك المكان خلاء لا مخلوقات كائِنة به.

* ملاحظة: إضافة إلى ما تَمَّ بيانه واستخراجه كحقائق عن سر مكان ((وما بينهما)) وذلك من خلال دراستنا (للآيات المحورية الأولى)، فلقد مكنتنا - أيضاً - دراسة هذه (الآيات الأخرى) من معرفة المزيد عن حقائق وخبايا سر ذلك المكان، نذكر منها على سبيل المثال: افتقاره لِـ (آية الرزق)، فالرزق كآية وآلية لا يكون إلاَّ في السموات والأرض، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ ﴾.

وكذا الخاصية والحقيقة الأخرى الهامة كون مكان ((وما بينهما)) لم يفطر (أي لم يخلق ابتداء) كما فطرت السموات والأرض، ويَحمِل لنا هذا الأمر إعجاز آخر عظيم وسر أعظم يتميَّز به ويتفرَّد به ذلك المكان، وهو ما سنأتي على كشفه وإيضاحه في خاتمة ونهاية هذا الفصل، وذلك تحت عنوان كبير يَعرِض لمعجزة

ومقاصد الحرف في علم (الحرف القرآني)، ومع معجزة حرف ((الهاء)) وإعجاز مكان ((وما بينهما))..

■ معجزة ((الهاء) في علم (الحرف القرآني) وإعجاز مكان ((وما بينهما)):

أحبتي في الله.. لقد اتضح لنا ولكم وبِتنا نعلم علم اليقين، وذلك من خلال تدبر كل تلك الآيات القرآنية السابقة، ما حَمِل مكان ((وما بينهما)) من حقائق وأسرار وخفايا عظيمة وإعجاز مبهر.

ولعلنا نضعكم - الآن - أمام السطور الكبيرة لتلك الحقائق، بغية الوصول إلى السر الأعظم الذي يعرفه ذلك المكان:

1- فأول تلك الحقائق أنَّ مكان ((وما بينهما)) هو مكان خلاء لا مخلوقات تتواجد فيه أو به.

ومكان ((وما بينهما)) مكان ذا تفاعلات وحركة كبيرة لا يقف على سرها وحقيقتها إلا الله عز وجل، فمكان ((وما بينهما)) إن جاز لنا وصفه هو مكان شبيه (بآلية كونية) عظيمة لها القدرة والمقدرة على استيعاب توسع كل سماء وسماء، وخلق (توازن طاقة) عظيمة لهذا الكون.

2- ومكان ((وما بينهما)) لا خبء فيها، لا مثقال ذرة فيه، لا مثقال حبة خردل به.

3- ومكان ((وما بينهما)) تَنعدِم فيه آلية تعاقب الليل والنهار والظلمات

والنور، وتتغيَّر فيه (الدورة الزمنية) مقارنة مع باقي السموات والأرض.

4- ومكان ((وما بينهما)) لم يفطر كباقي السموات والأرض، وإنما جاء تواجده وخلقه في (المرحلة الثانية) بعد فطر وخلق السموات والأرض.

5- ومكان ((وما بينهما)) يَفتقِر كما قلنا لآية (تخزين أو وجود الرزق).

إلى آخر كل تلك الحقائق التي عرفناها ولمسناها عن سر ذلك المكان، وهذه كلها أمور تدفعنا للتفكر والتدبر لمحاولة فهم (آلية ذلك المكان)، ونستطيع القول والتصريح يقيناً تاماً (بفضل من الله تعالى) أنَّ مكان ((وما بينهما)) هو شبيه (بآلية كونية) ذات سريان حركة (أي تفاعلات) دائرية مستديمة متجدِّدة، تُحَوِّل وتُحَوِّر بشكل دائري (كل الأمور) لخلق توازن دائم لهذا الكون، ولطاقة هذا الكون، وبِنيَة هذا الكون.

وتُحِيلُنا هذه الحقيقة الآن، وهذا الوصف إلى الكشف عن سر حرف ((الهاء)) الذي يتكوَّن منه لفظ مكان ((وما بينهما)) ضمن معجزة ((مقاصد الحرف)) في علم (الحرف القرآني).

- لفظ ((وما بينهما)) ومعجزة حرف ((الهاء)):

في إثارات فكرية متشابكة لمحاولة فهم ((مقاصد الحرف)) في علم ((الحرف القرآني))، ومحاولاتي المتواضعة للتدبر والتفكر في آياته العظيمة، أثار فضولي وبشكل كبير ما يحمله حرف ((الهاء)) من إعجاز ودلالات ومعاني.

فإذا نظرنا إلى بعض الألفاظ والأسماء في القرآن الكريم المصحوبة بهذا الحرف سنجد:

- أنَّ حرف الهاء هو حرف الجلالة (الله).. (هو الله)
- وهو حرف أسماء الله الحسنى (الهادي، المهيمن..)

- وحرف الهاء هو حرف: (الهبة، الهدية، الهدى..)
- وهو حرف: (همَّت به وهمَّ بها...)
- وهو حرف: (نهر، منهمر...)
- وهو حرف: (هواء....)
- وهو حرف: (هارون، إبراهيم، هود...)
- وهو حرف: (هامان، الهيمنة..)

والغريب.. إذا تأملنا في القاسم المشترك بين معاني كل هذه الأسماء والأفعال سنجد مثلاً:

- أنَّ (الهاء) هو حرف الجلالة: ويتميز بسريان فاعلية متحرك مستمر ودائم أي حركة تكوينية مستمرة.
- ونلمس هذا المفهوم - أيضاً - في أسماء الله الحسنى العظيمة (الهادي، والمهيمن)... واسم الهادي والمهيمن يرمزان إلى سريان فاعلية دائري ومستمر.
- وفعل الهداية والهيمنة.. هي سريان فاعلية دائم ومتحول.
- وهواء.. سريان فاعلية متغير متحرك؟! ونفس الأمر في الهوى.
- ونهر.. سريان فاعلية متجدد متحرك؟! ونفس الشيء بفعل (منهمر..)
- والهبة والهدية... لها في النفس سريان فاعلية دائم متحرك ومتجدد.

والملاحظة التي يجب أن نقف عندها الآن: أنَّ القاسم المشترك والصفة المشتركة التي اجتمعت عليها جميع تلك الأسماء هي: صفة (الحركة الدائرية) ذات (الاستمرارية في فعلها)، فإذن حرف ((الهاء)) في (علم الحرف القرآني) يعني (سريان الفاعلية) وهو سريان دائري (مستمر)، وبمعنى آخر أصح: فحرف الهاء يمثل (كمقصد) في (علم الحرف القرآني): الحركة الدائرية ذات الاستمرارية في فعلها.

والاستمرارية هنا لا تعني الدوام الأزلي بل يعني أنَّ تلك الفاعلية لا تنتقل تلقائياً ولا تتوقف تلقائياً، بل هي حركة دائرية متجددة، أي استمرار (فِعل) ما!.. لحين وصول أمر (طارئ تفعيلي) آخر يوقِفه، فَتَتجدَّد الحركة دوماً عبر خط (سريان نقل دائري).

فإذن حرف (الهاء) كما قلنا: يمثل (كمقصد) في (علم الحرف القرآني):

الحركة الدائرية ذات الاستمرارية في فعلها (*).

وبالرجوع إلى كلمة (وما بينهما) سنرى أنه ليس من الغريب أبدا أن يحمِل ويتواجد به حرف (الهاء)، بل (الهاء) جاء فيه كحرف أساسي ومركزي.

فجميع الحقائق والمواصفات التي عرفناها عن سر مكان (وما بينهما) تشير إلى إعجاز علمي مذهل بأنَّ مكان (وما بينهما) يتصف فعلا بتلك (الحركة الدائرية ذات الاستمرارية في فعلها)، فهو كما قلنا شبيه (بآلية كونية) ذات (حركة دائرية مستديمة متجدِّدة)، تستوعب طاقة توسع كل سماء، وتُحَوِّل وتُحَوِّر بشكل دائري مستديم (كل الأمور) لخلق توازن دائم بهذا الكون.

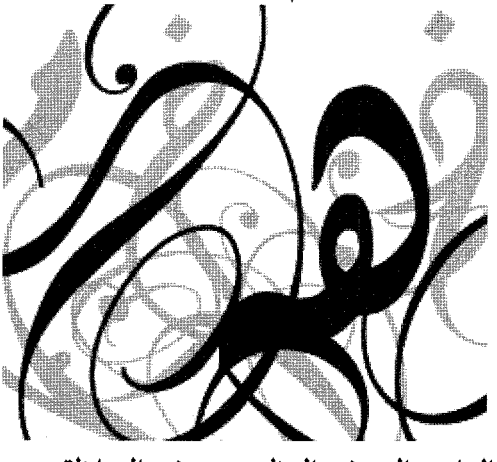

إنه حرف (الهاء)، الحرف العظيم، حرف الجلالة (هو الله) خالق السموات والأرض وخالق (ما بينهما)، ذلك المكان العظيم الذي حاولنا من خلال هذا البحث

(*) نوجه عبر هذه السطور رسالة شكر لفضيلة العالم الجليل الحاج عبود الخالدي (أمين جمعية علوم القرآن ـ العراق ـ) على ما تفضل بذكره وإنارته لنا ، عن مقصد حرف (الهاء) في (علم الحرف القرآني) ، فلم نكن نجد العبارات والألفاظ المناسبة لترجمة ما توصلنا إليه من معاني (سريان حركة متجددة ودائمة ومتحركة) حتى راسلنا في ـ حوار علمي ـ بأن ذلك يعني (الحركة الدائرية ذات الاستمرارية في فعلها) ، وهو ما كنا نريد ترجمته والتعبير عنه من خلال معاني كلمة (الهبة والهيمنة والنهر ، والمنهمر...) إلى آخر كل تلك الألفاظ التي جاء ذكرها والاستشهاد بها (أعلاه) .

فالشكر الجزيل لفضيلته ، ولعلومه ودراساته وأبحاثه التي تحمل معها كل علم رزين متفرد وغزير . والرابط الرسمي لموقع (جمعية علوم القرآن الكريم ـ العراق) .

http://holyquransca.org/index.htm

المتواضع أن نسلط الضوء على بعض حقائق أسراره وإعجازه، فنسأل المولى عز وجل أن يكون قد حالفنا بعض الصواب والتوفيق في البحث فيه وكشفه وطرحه والحمد لله تعالى حمداً كثيراً مباركاً فيه.

■ وكخاتمة:

لقد استكملنا بفضل الله تعالى ومِنّة منه هذا الجزء من البحث، الذي جعلنا نقف مبهورين أمام ما حملته كلمة ((وما بينهما)) من إعجاز عظيم وأسرار مذهلة، وبالتالي نمضي - بإذن الله تعالى - إلى أجزاء ودراسات أخرى، والجزء الثالث من هذه الدراسة، والذي سنتعرض فيه ملفاً إعجازياً خاصاً يناقش ما يُروَّج له الآن من ظاهرة ظهور الأطباق الطائرة؟! وعن زيارة المخلوقات الفضائية لنا؟!

الحقيقة الثالثة..

المخلوقات الفضائية

وسر الأطباق الطائرة!!..

كثيراً ما قرأنا وسمعنا عن الأطباق الطائرة والمخلوقات الفضائية التي زارت الأرض لأسباب مجهولة ثم عادت أدراجها من حيث أتَت؟!، فلقد شاهد هذه الظاهرة العديد من الأشخاص بمختلف مناطق العالم، وبالأخص في الدول الغربية وبعض الدول العربية (كمصر والكويت والسعودية)، حيث تَمَّ رصد عدة حالات ظهور لها في السنوات الأخيرة، وحسب ما جاء في معظم أقوال - شهود العيان - أنَّ تلك الأطباق كان معظمها يأخذ شكلاً بيضاوياً ذا ألوان براقة وذا سرعات فائقة، أو كان شكله على هيئة سلسلة من الأجسام المضيئة والغريبة.

ولقد تَعدَّدت التفسيرات والتأويلات حول مصداقية هذه (الظاهرة) بين معارض تام لها وبين مؤيد ومُقتنِع بوجود مثل هذه المخلوقات الفضائية ذات الحضارات المتطورة:

- ففئة عارضت بشدَّة هذا الموضوع وقالت: إنَّ تلك الأطباق الطائرة ما هي إلاّ أوهام وإشاعات لا أساس لها مِن الصحة، تَمَّ ترويجها بغية إلهاء الناس وإشغالهم عن مشاكلهم الحقيقية التي تتخبط فيها معظم مناطق العالم، فالأشخاص عادة ما يَمِيلون إلى كلِّ ما هو غريب وشاذ عن الواقع.

- ومنهم من قال: إنَّ تلك الأطباق ما هي إلاَّ أسلحة (تجريبية) روسية وأمريكية جِد متطورة أُطلقِت بهدف التجسس.

- أما فئة أخرى فهي على إيمان واقتناع كبير بهذه الظاهرة، وبوجود مثل هذه المخلوقات الفضائية المتطورة، وعلى أنها مخلوقات فضائية تعيش في كواكب أخرى، أَرسَلوا إلى الأرض من يحاول التجسس علينا لاكتشافنا واكتشاف كيف

نعيش، ومدى ما تَوصلت إليه حضارتنا مِن تقدم؟! ولقد وصل الأمر - بهذه الفئة - إلى القول بأنَّ تلك المخلوقات اعترضت بعض الأشخاص واصطحبتهم داخل تلك الأطباق بعيداً، وأجرت بعض الفحوصات الخاصة عليهم؟!

والغريب في الأمر أن هذا الادعاء لا يقول به فقط أُنَاس عاديون الذين كانوا شهود عيان على حدوث مثل هذه الظواهر، بل الأمر تعدى إلى أشخاص بارزين وعلماء مشهورين على الساحة العلمية.

كما وقد تَعدَّدت الكتب والدراسات التي تطرقت إلى هذه الحوادث، كبعض المؤلفات الخاصة للأستاذ أنيس منصور (الصاعدون إلى السماء، الهابطون من السماء)، وكتاب (الكون والناس والنظام العالمي) للمؤرخ الدكتور أنطون يعقوب ميخائيل"، وغيرها من الكتب.

فما هي حقيقة هذه الأطباق الطائرة؟! وهل توجد حقاً تلك المخلوقات الفضائية (بذلك الشكل وبصيغة تلك القصص التي حِيكَت حولها)؟!

وللرد على هذا الأمر، لا بدّ وأن نستعرض عليكم أولاً بعض ما حِيك وقيل من قصص حول هذه القضية، وسنستعرض هنا حوالي قصتين (رأينا فيهما رداً وحلاً جميلاً لهذا اللغز):

■القصة الأولى: حادثة خَطْف الزوجين (بارني) و(بيتي هيل) من قِبَل تلك المخلوقات الفضائية [6] تحكي القصة (في عُجالة) حكاية الزوجين (بارني وبيتي هيل) اللذان تعرضا لعملية اختطاف من طرف كائنات فضائية وهما في طريق عودتهما من عطلتهما الصيفية قرب الحدود الكندية، فبينما هما في طريقهما ليلاً (والمكان غير مأهول)، فجأة شاهدت (بيتي) جسماً غريباً مضيئاً في السماء يَحُوم فوقهما ويحاول الاقتراب منهما، وما كادت تُشير إليه إلى زوجها حتى توقفت السيارة وتوقفت محركاتها تماماً، وانطفأت كل أنوارها وكأنما جِني خارق قام بذلك؟! وفجأة (والزوجين مازالا عند ذهولهما وارتباكِهما وخوفهما)، وإذا بالطبق الطائر يهبط أمامهما ويسد عليهما طريق العودة، حيث شاهدا الزوجان وبكل

(6) انظر مقال وكيبيديا عن قصة الزوجين (بارني و وبيتي هيل)
http://fr.wikipedia.org/wiki/Betty_et_Barney_Hill

وضوح شكل الطبق وبداخله أكثر مِن عشرة مخلوقات فضائية؟!

الزوجين (بارني) و(بيتي هيل)

وبعد ساعتين (من الحادثة) وجد الزوجين نفسيهما على بُعْد خمسة وثلاثين ميلاً من الموضع الذي استوقفهما فيه ذلك الطبق الطائر لأول مرة، وطبعاً دون أن يستطيعا التذكر ما حدث لهما في تلك الساعتين، ولم يُخبِرا الزوجان ما أصابهما لأي شخص خشية من ألا يصدقهما أحد، ولكنهما وبعد فترة بسيطة من تلك الحادثة أُصيبا باضطرابات نفسية خطيرة واكتئاب حاد، وأرق شديد لم يجدا له تفسيراً (وخصوصاً الزوجة)، فلقد كانت تَحلُم دوماً بأنها مخطوفة مِن قِبَل كائنات غريبة الهيئة، الأمر الذي كاد يوصلها إلى حافة الجنون، فالتجأت إلى أحد الأطباء النفسيين للعلاج من هذا القلق النفسي، ولم يستطع هذا الطبيب معرفة الأسباب الحقيقية وراء ما يحصل للزوجين، فاقترح إخضاعهما إلى جلسات من التنويم المغناطيسي الذي يجعل المريض يتذكر أموراً في حياته لا يتذكرها عادة في وعيه، فلعل سبب تلك الأزمة النفسية - كما تصور الطبيب - يعود إلى مصاعب واجهها الزوجان في الطفولة أو ما شابه ذلك، ولكن عندما أخضعهما لذلك التنويم كانت المفاجأة!!.. وحَدَث ما لم يتوقعه الطبيب على الإطلاق!!

فقد تَذكر الزوجان أنَّ مخلوقات ذلك الطبق الطائر قد هبطت إليهما وصحبتهما إلى سفينتهم الفضائية، وهناك تعرضا إلى فحوصات طبية ومعملية مثلما

يفعل العلماء بأي كائن غريب، وبعض تلك الفحوصات كان يَصعُب وصفها من قِبَل الزوجين لأنها كانت بالغة التطور، وبعد ذلك اعتذرت تلك المخلوقات لما فعلته بالزوجين، وسَألَت (بيتي) قائد هذه المخلوقات عَمَّن يكون؟ (بأي لغة تم التخاطب بينهم؟!).. فأجابها بأنه وزملاؤه من مجرة أخرى، ثم قادها إلى خريطة فلكية وأشار إليها بموقع مجرتهم في تلك الخريطة، وبعد ذلك أعادت تلك المخلوقات الفضائية الزوجين إلى السيارة، حيث استيقظا فيها بعد أن مَحَت تلك المخلوقات ما في ذاكرة الزوجين من عملية الاختطاف باستخدام وسائل تكنولوجية بالغة التطور، ولكن جاء التنويم المغناطيسي لِيكشف كل هذا في العقل الباطن، وقد طَلَب الطبيب النفسي من الزوجة (بيتي) في أثناء التنويم المغناطيسي أن تَرسُم تلك الخريطة الفلكية كما رأتها وتُحدِّد موقع المجرة، وكانت المفاجأة.. لقد رسَمَت (بيتي) تلك الخريطة الفلكية وحددت موضع المجرة بمنتهى الدقة، على الرغم من أنها لا تفقه شيئاً في عالم الفلك، حتى لو كانت خبيرة في هذا المجال، فكيف اكتشفَت مجرة عَجزعن اكتشافها أعظم العلماء؟!

■ قصص أخرى: حادثة روزيل الشهيرة ففي يوليو 1947 شاهد الناس في مدينة روزيل بولاية" نيومكسيكوَ جسماً غريباً يجتاز سماء المنطقة ويَتحطَّم خارج المدينة، ويَجزِم مَنْ ذهب إلى مكان الحادث أنَّ ما تَحطَّم كان طبقاً طائراً وأنهم شاهدوا جُثثاً لمخلوقات فضائية غريبة.

وسرعان ما وصل سلاح الجو ونقل الجثث وبقايا المركبة - وأحاط المنطقة بسياج أمني ما يزال حتى اليوم. (7)

ومنذ ذلك الحين تحولت حادثة (روزيل) إلى عِلم بارز في تاريخ الأطباق الطائرة، وحسب ما جاء في المحطة نُقِلَت الجثث الغريبة إلى الوحدة الطبية في سلاح الجو الأمريكي، وتَمَّ التكتم عن أي معلومات خاصة بسر تلك الحادثة، إنْ كانت حقاً حادثة حقيقية.. أمْ لا؟!، وإنْ تَمَّ فعلاً العثور على تلك الجثث الفضائية.. أم لا؟!

(7) انظر قصة حادثة روزيل الشهير بمقال وكيبيديا
http://fr.wikipedia.org/wiki/Affaire_de_Roswell

وكان من الممكن أَنْ تبقى حادثة (روزيل) حادثة عادية مثل باقي حوادث قصص الأطباق الطائرة التي يشوبها الكثير من الغموض والتناقضات، لولا أنْ ظَهر في السطح خلال العشر السنوات الأخيرة شريط فيديو لفيلم غريب بثته القناة البريطانية الرابعة عام(1995) يصور الشريط أربعة أطباء من الجيش يشرحون جثة مخلوق غريب من الفضاء الخارجي، وقد قِيل إنَّ هذا الشريط تسرب من ملفات سلاح الجو الأمريكي (انظر الصور). [8]

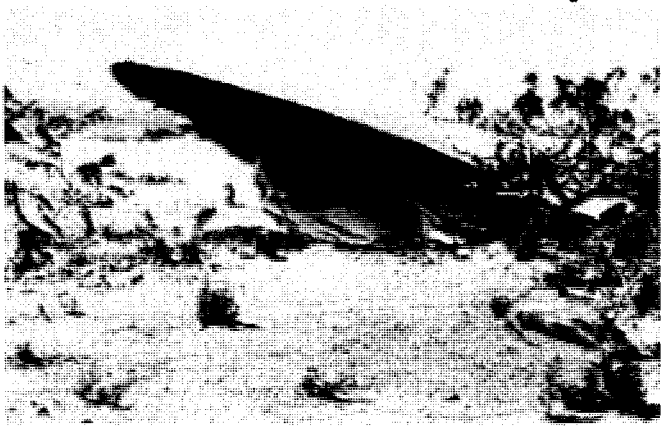

الطبق الطائر عند سقوطه في منطقة روزيل

(كما نشرت الخبر الصحف الغربية ساعتها)

نشرات عن الخبر في الصحف إبان "الحدث "

(8) الصور لحادثة "روزيل" من موقع "أسترو سورف "
http://www.astrosurf.com/luxorion/ovni-roswell.htm

من صور الشريط (ويظهر الأطباء عند تشريح الجثة)

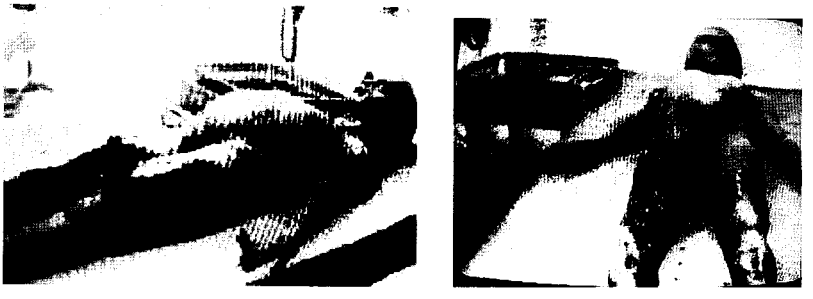

جثة المخلوق الفضائي!!..

■القصة الثالثة: العالم الفرنسي (جان بيتيت) وتصريحه الذي شَكَّل صدمة هائلة للعالم وللعلماء من هو العالم (جان بيتيت)؟! وما هي قصته؟! البروفيسور (جان بيتيت) عالم فرنسي وفيزيائي شهير وأخصائي في علوم الفلك وميكانيكا السوائل، يَعمل أستاذاً ومدير أبحاث في المركز القومي للأبحاث العلمية في فرنسا، إنه رجل فوق مستوى الشبهات ومعروف في كُلِّ الأوساط العلمية بالجدية والاتزان، ويحظى بكل التقدير والاحترام من طلابه وتلاميذه، لذلك حين يقول ويُؤمِن بوجود تلك المخلوقات الفضائية العاقِلة، بل ويُؤمِن أيضاً أنَّ بعضاً منها يعيش بيننا هنا على كوكب الأرض، ويؤكد أنَّ حوادث زيارة تلك الأطباق الطائرة هي قصص حقيقية، فيجب ساعتها أن نقف وقفة جادة مع مثل هذه التصاريح من

عالِم بوزن هذا العالم[9].

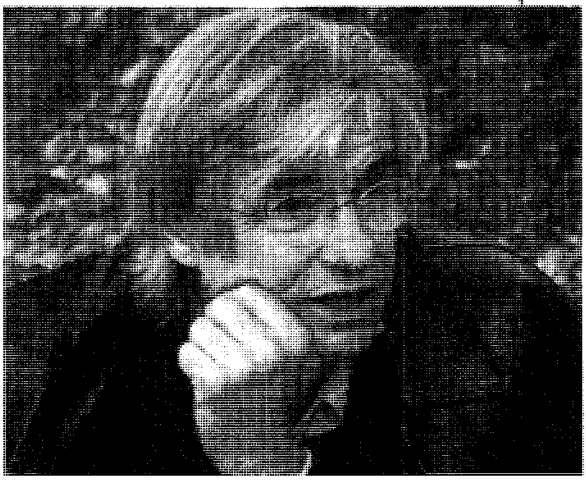

صورة العالم (جان بيتيت)

فما هي حكاية هذا العالِم وما هي تفاصيل تصريحاته وشهادته:

بَدأت القصة حين وَجَّه (جان بيتيت) صدمة هائلة للعالم وللعلماء بإصداره كتاباً يَذكُر فيه بأنَّ العشرات من الناس في اسبانيا وفرنسا قد تلقوا رسائل يَدَّعِي أصحابها أنهم مخلوقات من كوكب آخر، بل ويُؤكِّد أنه هو نفسه تلقى العشرات من نفس تلك الرسائل وأنه قد أصبح على اتصال مع تلك المخلوقات منذ أكثر من 25 سنة، وأنهم يعيشون هنا بيننا ويرسلون إليه رسائلهم على نحو مُنتظِم.

فمن هم هؤلاء المخلوقات (حسب ما جاء في تصاريح وأقوال هذا العالِم؟):

يقول (جان بيتيت) في كتابه إنَّ هؤلاء الزوار (زوار الفضاء) ينتمون إلى كوكب يطلق عليه لقب كوكب (يومو)، وهو كوكب يقع في مجرة أخرى تبعد عن كوكبنا بمسافة تصل إلى خمس سنوات ضوئية تقريباً (كما صَرَّح زوار الفضاء في رسائلهم تلك) وهو كوكب شبيه شيء ما بكوكبنا، إلاّ أنَّ جاذبيته قليلة عن جاذبية الأرض، ويومهم أطول عن يومنا بثماني ساعات، ولكن لا يوجد لهذا الكوكب قمر!!.. لديه فقط قارة واحدة يعيش عليها مجموعة من المخلوقات على شاكلة

(9) انظر موقع العالم (جان بيتيت)

Jean-Pierre Peti :http://www.jp-petit.org/

واحدة، والغريب في الأمر (كما جاء في تصريحات ورسائل أولائك الزوار) أنَّ تكوينهم الخارجي شبيه جداً بالتكوين البشري، باستثناء أنهم طِوال القامة وبشرتهم شاحبة للغاية على نحو قد يثير الانتباه قليلاً وجميعهم شقر ويتحدثون لغة واحدة، وكما جاء على لسان أولائك الزوار (من خلال رسائلهم) أنَّ رحلتهم الفضائية إلى الأرض استغرقت سنتين وهي مدة قصيرة جداً قياساً لبُعد المسافة بين الكوكبين. وكان موعد هبوطهم إلى سطح الأرض عام 1950 م في الثامن والعشرين من مارس.

وقد حَدَّد زوار (يومو) في رسائلهم للعالم الفرنسي (جان بيتيت) مَوقِع هبوط مركبتهم وبأنهم قد أَخفوا بعضاً من مُعدَّاتهم في مغارة جبلية يستغلونها كمخبأ سري، وتركوا ستة من باحثيهم لدراسة اللغات والعادات المحلية في كوكب الأرض، ثم رحلوا لإبلاغ كوكبهم بنتائج زيارتهم الأولى لكوكب الأرض.

كان هذا ما ذَكَره العالم الفرنسي (جان بيتيت) في تقريره الذي صدم به العالَم، ولقد قام فريق من الخبراء والعلماء بزيارة ذلك المكان الذي حَدَّده الزوار للعالم الفرنسي (جان بيتيت) وكانت المفاجأة حين عَثَروا عند نقطة هبوط المركبة (التي حددها زوار يومو) على أحجار حمراء اللون غير معروفة على الإطلاق ولا تُشبِه أي عَيِّنات جيولوجية معروفة على الأرض، لكنهم لم يَعثُروا على المخبأ السري الذي تَحدَّث عنه هؤلاء الزوار.

أما المفاجأة الأَغْرَب هي الرسائل التي كان يتلقاها (جان بيتيت) فقد كانت مطبوعة على ورقة، ومختومة برَسْم لكائن يشبه الثعبان له أجنحة وتَصدُر عنه إشعاعات ذرية محدودة، بل والأغرب من هذا كله أنَّ أولائك الزوار قاموا بتقديم للعالم (جان بيتيت) حلول لمشاكل فيزيائية معقدة حَيَّرت علماء الفيزياء طويلاً منها مشكلة الرنين (اختراق حاجز الصوت في السرعات العالية). [10]

---

(10) انظر موقع العالم (جان بيتيت)

Jean-Pierre Peti :http://www.jp-petit.org/

ولقد كان الحل يتلخص في صنع شبكة من الأنابيب حول مكوك أو مركبة الفضاء أو الطائرة - تحوي مادة كيميائية يمكن تحويلها بسرعة من الحالة السائلة إلى الحالة الجيلاتينية أو شبه صلبة مع وجود كومبيوتر يقوم بقياس درجة الرنين ، وقبل أن تصل جدران المركبة الفضائية إلى نقطة منتهى الرنين بسبب السرعة ، فإن الكومبيوتر يعمل على تحويل هذه المادة السائلة =

ولقد كان هذا الحل - وهذا بالذات - هو الذي جَعَل العالم (جان بيتيت) يُؤمِن إيماناً تاماً بوجود هذه المخلوقات؟!.

فلن يستطيع - مِن وجهة نظره - أي أُناس عاديون أو أشخاص عابثون التوصل إلى حل تلك المسألة المعقدة التي عجز عنها أعظم علماء العالم، مع العلم أنَّ تلك الرسائل المُرسَلة (من زوار كوكب يومو إلى سكان الأرض) بقيت مستمرة أكثر من 25 سنة!!.. بل إنهم وجهوا عدة رسائل مماثلة إلى بعض الهيئات والمؤسسات الحكومية والعلمية في فرنسا.

رغم كل هذه الحقائق التي طَرَحها (جان بيتيت) ومكانته المرموقة بين العلماء وفي فرنسا، إلاّ أنَّ هذا لم يَشفَع له إطلاقاً لا لدى زملائه ولا في الأوساط العلمية، فلقد تلقى هجوماً عنيفاً من العلماء ومن الصحفيين، مستنكرين مثل هذه التصريحات وهذه الأوهام والخرافات.

ولكن العالم الفرنسي رد على هذا الاستنكار الشديد بتوجيه تهديد شديد اللهجة إلى الحكومة الفرنسية أن تُنكِر ما جاء في كتابه، وبأنَّ الهيئات والمؤسسات الحكومية والعلمية في فرنسا قد تَلقَّت عشرات الرسائل المماثلة من زوار (يومو)، وبأنَّ المسئولين في الحكومة الفرنسية يحاولون بشتى الوسائل إجراء اتصال رسمي مباشر مع هؤلاء الزوار، وبأنهم يخفون العديد من الحقائق والملفات السرية - عن عامة الشعب - بشأن حقيقة تلك المخلوقات الفضائية وزوار الفضاء!!..

كانت هذه هي قصة العالم (جان بيتيت) مع زوار (كوكب يومو) وهي ما زالت مستمرة لحد الساعة وما زال العالم (جان بيتيت) مِن خلال موقعه ومؤيديه يتابع مستجدات هذه القضية بهدف إقناع الرأي العام العلمي بصدقها وحقيقتها.

*ورأينا كذلك قصة الزوجين (بارني) و(بيتي هيل) وحادثة روزيل الشهيرة، ولقد تعددت الحوادث والمشاهدات والقصص عن هذا الموضوع، ولكن استأثرنا

=

إلى الجيلاتينية .. أو العكس بالعكس ، مما يغير في النهاية من مستوى الرنين ويمنع المركبة من الوصول إلى نقطة الرنين التي ينهار عندها الجسم وبالتالي تنتهي هذه المشكلة تماماً .

بالاستدلال ببعض النماذج الواضحة لتَكُون لنا معها وقفة ودراسات تَهدِف إلى معرفة ملف الحقيقة بمجملها، والوقوف على موضع الصواب والخطأ من كل تلك الشائعات والقصص؟؟..

فما هي الحقيقة إذن؟؟ وما هي براهينُنا عليها؟؟

إنّ الجواب الشامل على هذا اللغز، بكل ما يَحمِل من تفاصيل وحيثيات، سَنجدُه بالكامل داخل عظمة إعجاز آيات القرآن العظيم لذلك سيكون موضوع فقرتنا التالية بعنوان: إعجاز القرآن الكريم في تبيان حقيقة هذه الأطباق الطائرة والقصص التي حِيكَت حولها.

■ لغز الأطباق الطائرة: بين أقوال القصص وحقائق القرآن العظيم كما نَعلم ويَعلم الجميع أنَّ القرآن الكريم أَقرَّ لنا في عِدَّة مواضع من آياته بوجود خلق ومخلوقات أخرى تعيش معنا في هذا الكون الشاسع بسمواته السبع وأراضيه، يقول الحق تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشورى: 29]، ويقول تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النحل: 49].

فإذن قضية وجود مخلوقات فضائية أخرى في الكون قضية حَسَمها الحق تعالى لنا في محكم آياته، ولا يوجد أي تناقض أو اختلاف بيننا وبين الفكرة التي يتبناها الغرب بوجود تلك الكائنات الفضائية. ونحن هنا نقول لهم: نَعَم (توجد مخلوقات أخرى في عِلْمِ الله تعالى تعيش معنا في هذا الكون الواسع)، ولكن تبقى هناك نقطة ومسألة محورية مُخالِفة بيننا وبين فكرة الغرب وما شِيعَ حول زيارة تلك الأطباق الطائرة للأرض، وكذا وما رُوِّج من قصص خرافية حول ذلك الموضوع!!..

ونقول ببساطة كما بَيَّن القرآن حقيقية وجود تلك المخلوقات، فلقد مَنحَنا الحق تعالى - أيضاً - مفاتيح وإشارات علمية قرآنية ومنهج قرآني خاص، نستطيع به ومِن خلاله تبيان حقيقة تلك المخلوقات وبالتالي تفنيد كل تلك القصص والإشاعات التي رُوِّجت حول زيارتها لكوكبنا، هل هي قصص صحيحة؟! أم مجرد إشاعات وقصص مُفبركَة نُشرت لأهداف وأغراض مُعيَّنة؟!

فإذن السر واللغز يَكمُن في معرفة حقيقة تلك المخلوقات؟! فما هي

حقيقتها أو بمعنى آخر- أكثر وضوحاً - ما هي الصفة الموحدة التي تَجتمِع عليها، وتتميز بها هذه المخلوقات كلها بدون أي استثناء؟!

■ الصفة الموحدة لجميع مخلوقات الله تعالى هي: الإيمان والقنوت والسجود لله تعالى نعم، إنَّ الصفة الموحدة لجميع باقي مخلوقات الله التي خلقها الله تعالى في السموات والأرض هي (الإيمان بالله، والقنوت لله، وتسبيحها وتوحيدها لله تعالى).

نعم..، هي كلها مخلوقات تَعرِف الله تعالى وتُؤمِن به، قانتة له مُسلِمة مُستسلِمة له، ساجِدة مُسبِّحة له دون كلل أو ملل.

■ الآيات الدالة على ذلك:

[1]: أَسلَم من في السموات والأرض في قوله تعالى ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران: 83].

[2]: تُسبح له السماوات والأرض في قوله تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: 44].

[3]: إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا في قوله تعالى ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: 93].

[4]: له مَن في السماوات والأرض ومَن عنده في قوله تعالى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنبياء: 19].

[5]: له مَن في السموات والأرض في قوله تعالى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الروم: 26].

[6]: يقول الحق تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [البقرة: 116].

[7]: ويسجد له من في السموات والأرض في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴾ [الرعد: 15].

كما تلاحظون فلقد اجتمعت كل هذه الآيات الكريمة على إثبات حقيقة ما ذَهبنا إليه من قول ورأي، إنها آيات تَنطِق بإعجاز علمي عظيم ومُبهِر يضع بين أيدينا مفاتيح علمية لا مثيل لها، مكَّنتنا من معرفة حقيقة تلك المخلوقات، وبالتالي تفنيد تلك الإشاعات والخرافات حول مصداقية تلك الأطباق الطائرة وزيارة تلك المخلوقات الفضائية لنا، فإذا نظرنا وتأملنا كل تلك القصص، لَعَلمنا وتَيقَّنا أنَّ شخصية تلك المخلوقات بعيدة كل البُعد عن معرفة الله أو الاستسلام إليه؟! وبالتّالي فهي مخلوقات خرافية وقصص مفبركة نُشرَت لأهداف وأغراض مُعيَّنة؟!

■ ولنبدأ بقصة العالم الفرنسي (جان بيتيت) وزوار كوكب (يومو):

إنَّ مِن الغريب المستغرب الذي حملته تلك القصة هي الرسائل التي كان يرسلها زوار هذا الكوكب إلى عدد كبير من الأشخاص، فلقد حرصت هذه المخلوقات على إعطاء تفاصيل ومعلومات كثيرة ومتنوعة عنهم، وعن هويتهم وحياتهم، وعن كوكبهم وعن نظام علاقاتهم... الخ، بل والمسألة الأكثر أهمية وغرابة أنهم عَرَّفوا أيضا بديانتهم ومعتقداتهم، والمفاجأة الكبرى في هذه النقطة بالذات أنَّ أولائك المخلوقات صَرَّحوا أنهم لا يعبدون نفس الإله الذي نَعبُد أي ليسوا من أهل الإسلام ولا يَشهدُون أنَّ الإسلام هو دين الله الحق، فهم يؤمنون بما يسمى الخالق لهذا الكون الذي يُطلِقون عليه لَقَب.. WOA، وديانتهم قريبة شيئاً ما إلى الديانة المسيحية الحالية!!أي يؤمنون بما يسمى (الصليب)، وكما جاء في رسائلهم فهم ما زالوا يبحثون ويتفكرون ويتدبرون في هذا الخلق لاكتشاف معلومات أخرى عن هذا الخالِق؟!..

وبالتّالي مرفق مترجم من بعض رسائلهم كما نشرته المواقع العلمية: [11]

Nous sommes une société profondément religieuse. Nous croyons en WOA (DIEU ou CREATEUR) et nous possédons des arguments scientifiques en faveur de l'existence du BUAWAA (AME).

(11) انظر رسائل زوار كوكب " يومو" عن ديانتهم ، من موقع (أومو سيوس)
http://www.ummo-sciences.org/fr/D21.htm

Nous connaissons de plus un Troisième Facteur de l'homme qui le relie avec l'âme adimensionnelle. Il est situé dans le cortex encéphalique et nous avons informé deux neurophysiologistes terrestres de sa découverte.
Notre religion est si semblable au Christianisme terrestre que nous avons été véritablement surpris en nous en apercevant. La seule différence, c'est que sur UMMO il est apparu à un stade de notre Humanité où la Civilisation était plus développée que la vôtre au temps de Jésus - Christ

أمّا العلماء والخبراء فيرون أنَّ ديانة زوار كوكب (يومو) ديانة شبيهة شيئاً ما للديانة البوذية، بحيث تَحمِل معتقداتهم العديد من التساؤلات الفلسفية؟!

فَهُم دوماً يطرحون على أنفسهم عِدّة أسئلة فلسفية كتلك التي طرحها فلاسفتنا قديماً، كقولهم: (مَن نحن؟ مِن أين جِئنا؟ والى أين سَنذهب؟!.. الخ)، وبالمقال العلمي مرفق عن شهادة العلماء بهذا الخصوص: (12)

La religion Ummite est plus proche d'une philosophie religieuse que d'une religion proprement dite. S'il fallait la comparer à une "religion" terrestre, l'exemple qui vient immédiatement à l'esprit est le Bouddhisme (en exceptant la notion de réincarnation)....

La différence la plus fondamentale par rapport à nos religions semble être l'absence quasi totale de rituel collectif et de hiérarchie religieuse. Pas de rituels collectifs ; non, mais une vie familiale qui semble être tournée vers la méditation et l'envie d'agir dans la collectivité, pour le bien de cette collectivité.. Pas de hiérarchie religieuse ; mais en fait, à y regarder de plus près, leur système politique se fondant sur des lois morales issues de "TAU" religieux, on peut sans doute considérer que leurs dirigeant sont en fait les gardiens de ces lois religieuses, à défaut d'en être les prêtres. Il semble que seules de nouvelles découvertes scientifiques peuvent faire changer leur manière de voir.

Les Ummites, nous disent ils, ont intégré les découvertes de la science dans cette philosophie religieuse.

Ils ont de ce fait répondu aux questions fondamentales que se posent nos philosophes depuis la nuit des temps, à savoir; qui sommes nous, d'ou venons nous, où allons nous, pourquoi ? Vous trouverez leurs

(12) انظر شهادة العلماء وقولهم عن معتقدات زوار كوكب " يومو" من موقع
http://pagesperso-orange.fr/ummo.textes-essentiels/f011.htm

réponses dans les textes qui vont suivre. Ils semblent avoir atteint un point d'évolution où leur foi dirige leurs actes pour le bien de leur humanité et pour l'amélioration des deux "univers hors de nos univers" qui commandent l'évolution vers un "point oméga" qu'ils espèrent le plus proche possible du dessein de "WOA".

كما شاهدتم وطالعتم معنا الآن - مِن خلال ما تَمَّ عرضُه من وثائق - الحقائق كاملة عن هذه المخلوقات، فماذا نستخلص ونستنتج من كل هذا؟! فهاهم مخلوقات كوكب زوار(يومو) لا يعرفون الله حق معرفته؟! ولا يعرفون أنَّ الدين عند الله الإسلام؟! بل وما يزالون في بحث وتنقيب عن سر وجودهم؟! ومِن أين أتوا؟! ولِما جاءوا؟!.. الخ.

فسبحان الله، إنَّ هذا يُخالِف ويُناقِض تناقضاً صارخاً جميع آيات القرآن الكريم، التي تَشهَد جميعها بأنَّ كل ما خلقه تعالى في هذا الكون من مخلوقات أخرى (عرفنا منها ما عرفنا، وجهلنا ما جهلنا) فإنما هي مخلوقات تَعرِف الله حَقَّ معرفته، مُسلِمة مُستسلِمة له. وإنْ كان الأمر كذلك!! فكيف لمخلوقات (تَعرِف الله) أنْ لا تَعرِف أنَّ الدين عند الله الإسلام (ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم) أرسله الحق تعالى إلى العالمين كافة، وفي رحلة الإسراء والمعراج عَرفَه أهل السموات والأرض جميعها). فهل ما زلنا بعد هذا سنُصدِّق بزيارة تلك المخلوقات والأطباق الطائرة لنا؟! أظن أنَّ الإجابة على هذا السؤال أصبحَت جَليَّة واضحة أمام أعيننا وأعينكم لا غبار عليها ولا غموض.

ولعرض المزيد من الإثباتات والحجج التي تصب في نفس الحقيقة سَنُعرِّج في عجالة على باقي القصص المستشهد بها سابقاً.

■ قصة الزوجين (بارني) و(بيتي هيل):

إنْ تذكرتم معي فتلك المخلوقات قامت باختطاف الزوجين (بارني) و(بيتي هيل)، بل وصعدوا بهم إلى الفضاء؟! والهدف كان إلقاء تجارب عليهم؟! ولكن السؤال الغريب الذي يطرح نفسه علينا بإلحاح: من أَرسَل أولائك المخلوقات؟! وبأيّ حق جاءوا لإلقاء هذه التجارب؟! ونحن نعلم أنَّ ما مِن شيء خلقه الله تعالى في السموات إلاَّ هو مُستسلِم له، خاضع لإرادته، لا يَفعل أمراً إلاَّ بإذنه؟! وإذا أراد الحق تعالى أن يُرسِل للبشر أحداً فكان يُرسِل الملائكة على رُسُلِه بالوحي وتنزيل

الكتب السماوية، ولقد توقف الوحي بإنزال آخر الرسالات السماوية على خاتم النبيين والمرسلين المصطفى (عليه أفضل الصلاة والتسليم)، وهي الرسالة الخاتمة المهيمنة على جميع الرسالات والكتب السماوية.

فإذن ما الهدف من اختطاف تلك المخلوقات الفضائية للبشر؟! لإلقاء تجارب علينا (كما جاء باعترافهم؟!) مَن أرسلهم؟! ومَن أمرهم؟! مَن سَمَح لهم؟! هل هم مخلوقات فضائية كافرة لا تُؤمِن بالله، لكي تتحدى أمره وتُقِيم مثل تلك الاختطافات والزيارات دون إذنه؟! سيكون هذا الأمر مناقضاً تناقضاً صارخاً مع كلِّ ما جاء في آيات القرآن العظيم، وبالتّالي لا يُمكِننا أن نَستنتِج إلاّ أمراً واحداً، وحقيقة واحدة لا ثالث لها، فتلك القصة ما هي إلاّ من القصص المفبركة بأغراض وأهداف معينة، ولا يُمكِن أن تكون هناك مخلوقات فضائية لا تعرف الله، ولا تعرف دين الله، وتأتي لخطف البشر؟!..

أمّا القصة والنموذج الثالث من قصص هذه المخلوقات هي قصة.

■ (حادثة روزيل الشهيرة):

فكما نعلم وتعلمون بأنَّ تلك المركبة سَقطت في منطقة تَشتهِر بأنها محطة لتجارب عدة!! وكما بَيَّن ذلك الشريط أنه تَمَّ احتجاز المخلوقات التي كانت بداخلها أي (من نجا منهم)، فكيف إذن لمخلوقات جد متطورة أن تسمح لبعض رفقائهم أن يُحتجَزوا دون محاولة استردادهم أو إعلان حرب علينا؟! أو على الأقل الظهور مرة أخرى وإرسال رسائل تُطالِب فيها باسترجاع تلك المركبة.

إنْ كانت مخلوقات تؤمن بالله ولا ترضى بالظلم!! فمن باب أولى أن تُعرِّف بنفسها وتُطالِب باسترجاع رُفات رفقائها، أوليس كذلك؟! أوليس هذا ما يقول به العقل والمنطق؟! ولكننا نرى أنَّ ذلك الحدث بمُجمله حمل معه الكثير من الغموض والمتناقضات والخرافات، والأجدر بنا أنْ نقول إنَّ تلك المركبة الساقطة ما هي إلاّ من التجارب الغربية لأسلحة جد متطورة!!.. كما قال بهذا الرأي الدكتور مصطفى محمود(رحمه الله تعالى رحمة واسعة).

■ وخُلاصة:

عَلِمنا أنَّ حقيقة تلك الأطباق الطائرة والقول إنها آتية من الفضاء إنما هو

ادعاء باطل لا أساس له من الصحة، والافتراضية التي نطرحها - كتفسير لما قِيل قد شاهده الناس - أنَّ تلك الأطباق الطائرة ما هي إلا تجارب لأسلحة جد متطورة، وأنَّ الموضوع بمجمله مُحَاط بنوع كبير من السرية والتكتم!!..

■ ملاحظات:

لا يجب أن ننسى ونحن نتحدث عن هذه الأطباق الطائرة، أنَّ العديد منها، والعديد من تلك المشاهدات كانت مجرد خُدَع بصرية، أو تفسيرات في غير محلها لأشياء عادية ظهرت وكأنها أشكال لأطباق طائرة، ويَدخُل في هذا النطاق ظاهرة الخداع البصري (لتمويه السحب)، أو بعض الأشكال الهندسية التي تَمَّ العثور عليها في الآثار، ونُسِبت لتلك الأطباق والمخلوقات الفضائية، ونستعرض هنا أمثلة حَيَّة لذلك:

1. تمويه السحب: لا يجب أنْ ننسى أيضاً أنَّ العديد من المُؤثرات المناخية للسحب تُظهِر تلك السحب على شكل دوائر قريبة الشَّبَه بشكل لافت بالأطباق الطائرة، في حركة تمويه عظيمة، بحيث الناظر إليها لن يُفَرِّق بينها وبين شكل طبق لطائر (انظر الأشكال 1: 2).

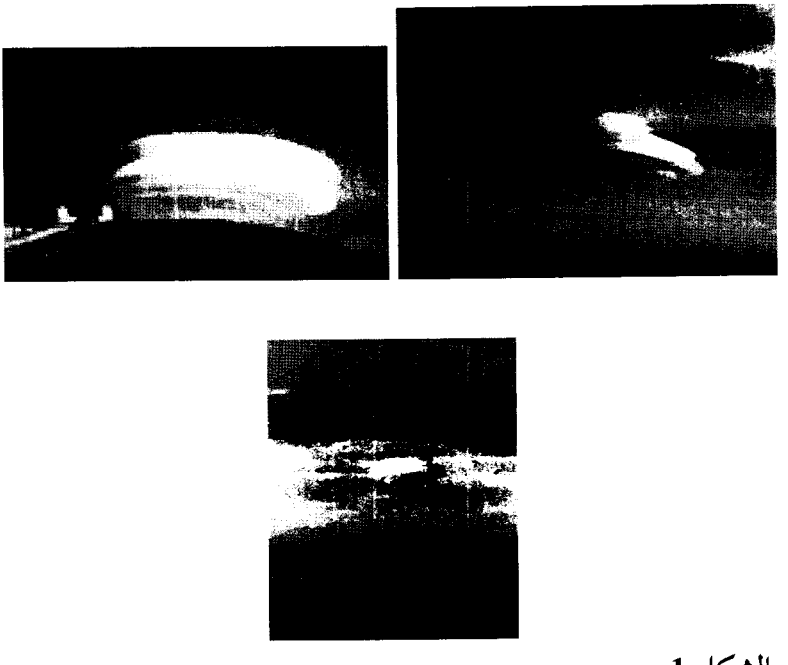

الشكل 1

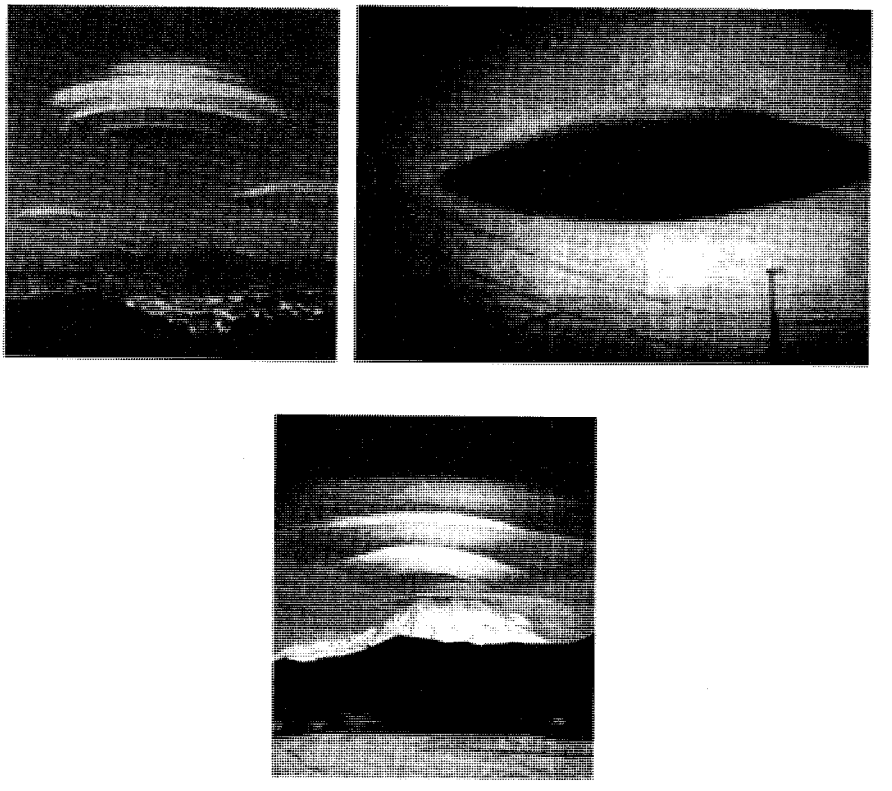

الشكل: 2

الأشكال (1 – 2): يطلق على هذه السحب لقب " السحب العدسة " كعدسة العين Les nuages lenticulaires ou nuages d'onde orographique وكثيرا ما يتم التمويه ونظن أنها شكلا من أشكال الأطباق الطائرة. (13)

2ـ تمويه بعض الآثار: هذا من جهة أمَّا مِن جهة أخرى فإن العديد من المؤيدين لفكرة الأطباق الطائرة وزيارة تلك المخلوقات الفضائية لنا، يحتجون بأدلة وآثار تُثبِت أنَّ تلك المخلوقات الفضائية كان لها تاريخ حضور حتى في الحضارات القديمة، وكثيراً ما نشاهد صور لهم منقوشة على بعض الكهوف، أو الأماكن الأثرية العريقة كالأهرامات، وبالصور التالية بعض تلك الآثار التي تَمَّ العثور عليها (الشكل: 3)

(13) Les nuages lenticulaires ou nuages d'onde orographique : de wikipedia http://fr.wikipedia.org/wiki/Altocumulus_lenticularis. et voir aussi le site(astrosurf) http://astrosurf.com/luxorion/meteo-nuages.htm

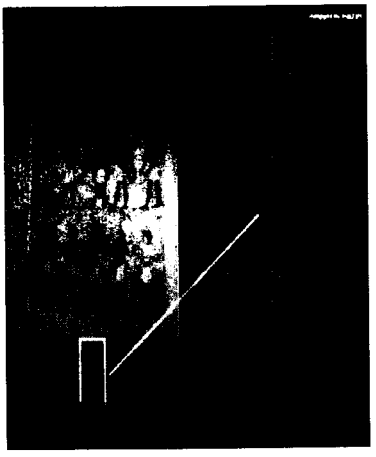

الشكل (3): شكل المخلوق الفضائي؟!

مرفق الشكل (3): مخلوق فضائي رسمه الفراعنة، عُثِر عليه داخل جدار "هرم سقارة" ويعود تاريخه إلى2500 ق. م[14]

(14) انظر مقال هارون يحيى VESTIGES ETONNANTS DE CIVILISATIONS ANTIQUES
وكذا تفاصيل الخبر على موقع (ايدي 5) http://www.ldi5.com/news/3.php

(الشكل: 4) جداريه ثم العثور عليها في معبد أبيدوس ونرى فيها شكل لطبق طائر وأخرى شكل لطائرة هيلوكبتر

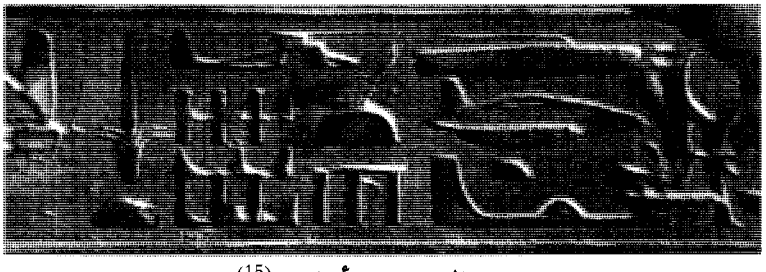

نفس الجداريه (أعلاه) [15]

فبالنسبة لي - وكوجهة نظر متواضعة - فهناك الاحتمال الأول أن يكون الفراعنة القدماء تمكنوا فعلاً من الطيران (ولو لمستويات محدودة)، ولا سيما أنه تمَّ العثور فعلاً وضمن تلك الآثار على جسم غريب " لطائرة هليوكوبتر" [16]، وهو شبيه لجسم كائن طائر ولكن الخبراء قَدَّروا أنَّ الشكل هو فعلاً لطائرة هيلوكبتر!!..

(15) انظر إلى مقال "" Des Ovnis ressemblant à un hélicoptère et à un avion sur les murs des Anciens Egyptiens . بموقع (اوفني 007).
http://www.ovni007.com/id27.html

(16) انظر نفس المصدر السابق ، ومقال "Les Objets volants " على موقع (ايدي 5)
http://www.ldi5.com/archeo/ov.php#insolite

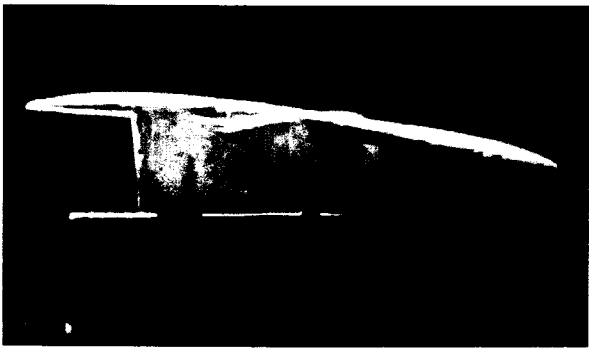

(الشكل 5): تم العثور عليها في هرم سقارة (200 سنة ق. م)

أمّا النظرية الأخرى: فسنقول إنَّ الفراعنة القدماء وصلوا فعلاً إلى نوع من أنواع الطيران، وصنعوا في ذلك بعض الأجهزة، ولكن مع الأخذ بالاعتبار نقطة جد هامة لا يجب إهمالها أو إغفالها، فما كُلُّ ما نراه مرسوم كآثار هو تجسيد فعلي لِما كانت عليه تلك الحضارة!!، إنَّ المُثِير في تلك الرسومات أنْ تكون فقط ضمن خيال وإبداع الأفراد، فدوماً الإنسان يَتخِذ الإنسان مِن الفن (الرسم) أداة للتعبير عن أحلامه ومعتقداته أو مخاوفه أو طموحاته.

فبالتّالي وجود مثل تلك الرسومات لا تدل قطعاً أنّ الفراعنة فعلاً شاهدوا مخلوقاً فضائياً فخلدوه رسماً على جدران أهراماتهم، بل ما أظنه قد حصل هو - فقط - نوع من المعتقدات كانت سائدة لظواهر وإشاعات لِما وراء الطبيعية، فرسمها الفراعنة على جدران معابدهم تخليداً لما ظنوه كائناً؟!..

ولا سيما أنَّ الخرافات كانت سائدة بكثرة في الأزمنة السابقة عن الآلهة والسحر والشعوذة، ودوماً الإنسان يَتعلَّق ذهنه بكل ما هو غريب عنه فيحيطه بهالة من الخرافات والأساطير.

ولن نذهب بعيداً في طرح مثال حي شاهد على هذا الكلام، فلننظر مثلاً من أنفسنا، وفي زماننا الحاضر فكم هي أعداد تلك اللوحات الجدارية الفنية التي يُشيِّدها الفنانون ويضعون فيها كل ما هو غريب (كإبداع خاص)، يُعبِّر عن طموحاتهم وهواجسهم، أو عن أحلامهم، وخير مثال على ذلك اللوحات ذات الأبعاد السريالية (انظر مثلاً لوحات الفنان سلفادور دالي)، وانظر كم حَمِلت من

وجه وشكل غريب؟!، فهل إذا عَثَرت عليها أجيال لاحقة لنا فهل ستُصنِّف تلك الأشكال والوجوه على أنها فعلاً عاشت معنا في زماننا الحالي، أم كانت لمخلوقات فضائية أخرى شاهدناها فأرختها لنا أيادي الفنانين؟! الجواب بالقطع هو: لا..

لذا نُعِيد ما قلناه سابقاً، فليس كل ما هو مرسوم ومنحوت في آثار الحضارات القادمة هو بالفعل حقيقة، فلا بد أن نُفرّق بين الحقائق ورسومات الأشخاص التَخيُّلية في أزمنة سابقة.

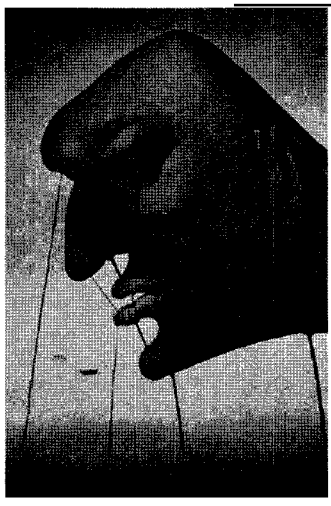

(الشكل 6): هذه مثلاً لوحة سريالية لسلفادور دالي، وهي تَرمز لوجه إنسان ضخم، فهل ستقول الأجيال المُقبلة إنَّ حضارتنا عَرفت هياكل بشرية أو مخلوقات فضائية شبيهة بتلك؟!..

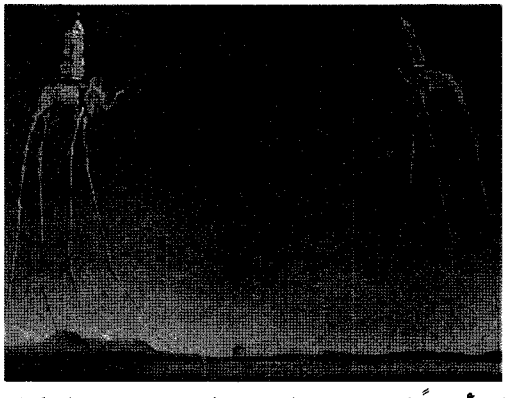

(الشكل 7): وهذه أيضاً لوحة فنية لنفس الفنان، تؤرخ لشكل أفيال ذات أَرجُل طويلة! فهل سيقول عنا الآخر إنَّ حضارتنا عَرَفت مثل تلك المخلوقات؟!..

(الشكل 8): وهذه لوحة لفنان آخر، سرح بخياله فرسم شخصًا وأسماكاً في السماء، وبالأرضية شكل لرجل آلي؟! فهل ستأتي حضارات أخرى لاحقة وتقول عنا إننا عرفنا مخلوقات فضائية أسماكها تُحلق في الفضاء؟!.. عِوض الغوص في المياه.

(الشكل 9): وهذه أيضاً لوحات من الخيال العلمي.. وسينطبق عليها نفس الأمر إذا شاهدتها حضارات أخرى لاحقة!!..

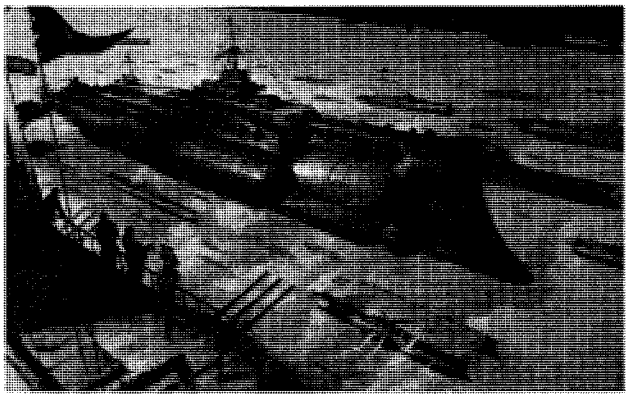

■ الخاتمة:

كان هذا هو ملف لغز المخلوقات الفضائية وسر الأطباق الطائرة!! بين الإشاعات وأقوال الناس وبين الحقائق القرآنية العظيمة، وبهذا نمر إلى الحقيقة الرابعة من هذا المبحث وفيها سنستعرض - بإذن الله تعالى - حقيقة: (هل سيتمكن الإنسان من رؤية واكتشاف كل السموات السّبع.. حتى السماء السابعة)؟!..، هذا ما سنحاول الإجابة والرد عنه.

الحقيقة الرابعة..

تسخير السموات والأرض

((هل سيتمكن الإنسان من رؤية السموات السبع؟!))

■ هل سيتمكَّن الإنسان من اكتشاف أغوار الكون؟!..

هل سيتمكَّن الإنسان من رؤية كل السموات السَّبع؟!..

سؤال لطالما ألَحَّ عليَّ، وطرحته على نفسي مراراً، وأنا أجُول بنظري وأتأمل صفحة السماء في سكون الليل وصفائه، وأشاهد تلك النجوم البرّاقة التي تُنادينا من بعيد وتُغرِينا للاقتراب منها واكتشافها واكتشاف ما ورائها؟!..

ولا أظن إلاَّ - وهذا السؤال - قد ألَحَّ عليكم أنتم أيضاً، وألَحَّ سابقاً على علمائنا فاجتهدوا بالنهوض بكل دروب العلوم وبرعوا فيها كثيراً، وأنتجوا لنا هذا التراث العلمي العالمي الزَّاخر.. مفخرة حضارتنا.

وعلى نفس الدرب سار العلماء المعاصرون، فدفعهم ذلك الوَلَه والعشق لفكِّ أسرار ذلك المجهول(أغوار الكون)، على امتطاء كلِّ المصاعب والعقبات، فاجتهدوا ليل نهار، وتَفنَّنوا في ابتكار كلِّ المُعدَّات والأدوات العلمية التي تؤهلهم والوصول إلى مبتغاهم وتحقيق أهدافهم.

فامتلأت المواقع العلمية بأخبار تلك الاكتشافات العظيمة التي حققوها في هذا المجال، وتَصدَّرت صور (المجرات الكونية) بما حَملت من أسرار وغرائب، كُبريات الصحف العلمية والعالمية. فبِتنا نُشاهد مجرات أخَذت أشكال حلزونية لولبية، وأخرى جاءت على أشكال إهليجية بيضاوية، وأخرى بأشكال شاذة وغير منتظمة بينما فريق آخر انتظم في شكل مجرات أُطلِق عليها لقب (المجرات القزمة).

واحتشدت ملايين تلك المجرات التي تنتشر عبر هذا الفضاء، في تجمعات

وحشود كبيرة أَطلَق عليها العلماء لقب Clusters، مثل تجمع العذراء، وغيرها من التجمعات والأشكال الكونية العجيبة والمُتفرِّدة (انظر الصور والأشكال المرفقة).

(الشكل 10): مجرة بيضاوية يُطلق عليها لقب M59
تبعد عنا بملايين السنين الضوئية (50 مليون سنة ضوئية)

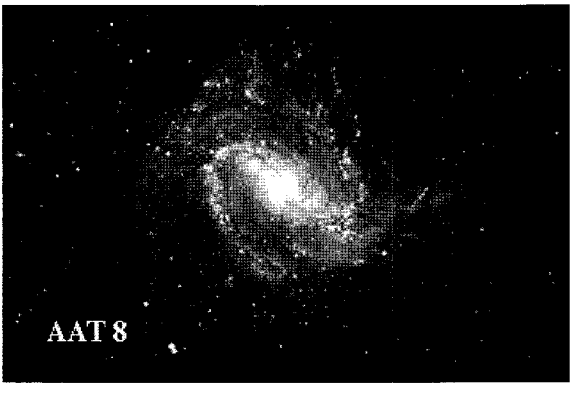

(الشكل 11): مجرة حَلزونية يُطلق عليها لقب M83[17]

(17) الشكل (11) و(10) من الموقع العلمي "La lente évolution des galaxies"
http://nrumiano.free.fr/Fgalax/elliptiques.html

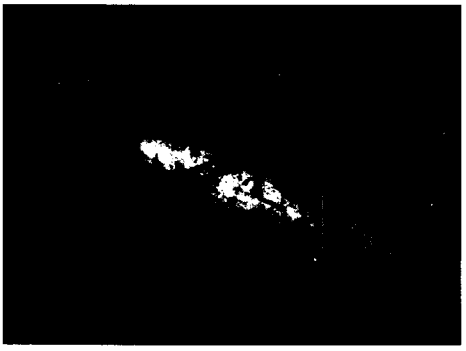

(الشكل **12**): من أشكال المجرات الشاذّة والغَير المنتظمة تلقب M82

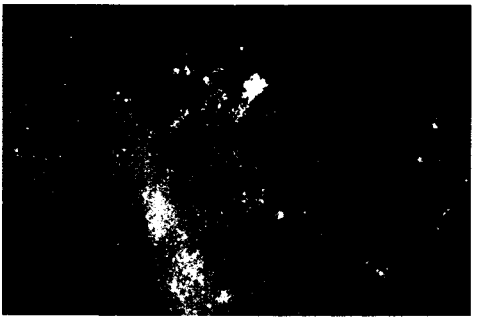

(الشكل **13**): غُيوم مجلان (الأقرب إلى مجرتنا " درب التبانة ")[18]

Le Grand Nuage de Magellan

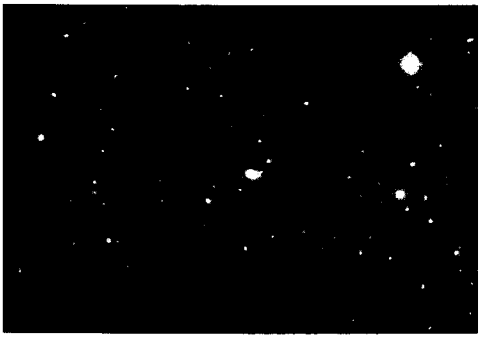

(الشكل **14**): تجمع مجرات الهلبة، وتتكون من أكثر من (**1000**) مجرة لامعة

Une vue de l'amas de Coma, situé à 100 Mpcet constitué de plus de 1000 galaxies brillantes

(18) الشكل (12. 13.14) :نفس المصدر السابق .

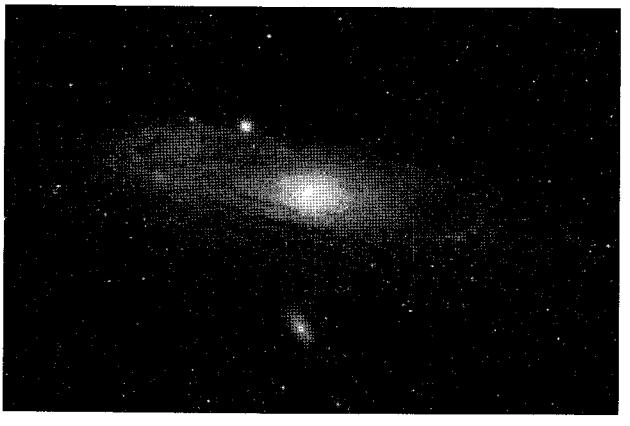

(الشكل 15): مجرتنا (مجرة درب التبانة)

Voie lactée

(الشكل 16): سديم رأس الحصان أو سديم رأس الفرس[19]

La nébuleuse de la Tête de Cheval

يمثل (الشكل 16) شكلاً من الصور الكونية الأكثر شيوعا، يلقب علميا بسديم رأس الفرس هو سديم من النوع الامتصاصي - الداكن - يقع في كوكبة الجبار، يبعد حوالي 1500 سنة ضوئية عن الأرض.

كانت تلك بعض الأشكال والصور الكونية لتجمعات عظيمة من النجوم، وعناقيد المجرات والغبار الكوني الذي يَعُم هذا الكون، مع العِلم أنَّ كلَّ ما رأيناه وشاهدناه لا يُعد - ولا يَعتبره العلماء - إلاَّ كنقطة وجزء مرئي جد ضئيل في بحر

(19) الشكل (15.16) من الموقع العلمي " Linternaute "
http://www.linternaute.com/science/

هذا الكون العظيم، إذ لم يَتمكَّن العِلم حتّى اللحظة من اكتشاف إلا زاوية صغيرة من هذا الفضاء، فهذا الكون العظيم أوسع وأعظم بكثير مما نشاهده.

فنحن لا نرى من هذه السماء إلا 5 % وربما أقل من محتوياتها وتقف جميع أدواتنا ومعداتنا العلمية عاجزة عن معرفة ورؤية أبعد مِن ذلك؟! رغم دقتها وتفوقها وتطورها [20].

أما ما تبقى!!.. فهي مادة سوداء مظلمة خفية، غير منظورة، لا يَخرُج منها أي ضوء يدل عليها، وهي تُمثل حسب الخبراء أكثر من تسعين في المائة من مادة هذا الكون.

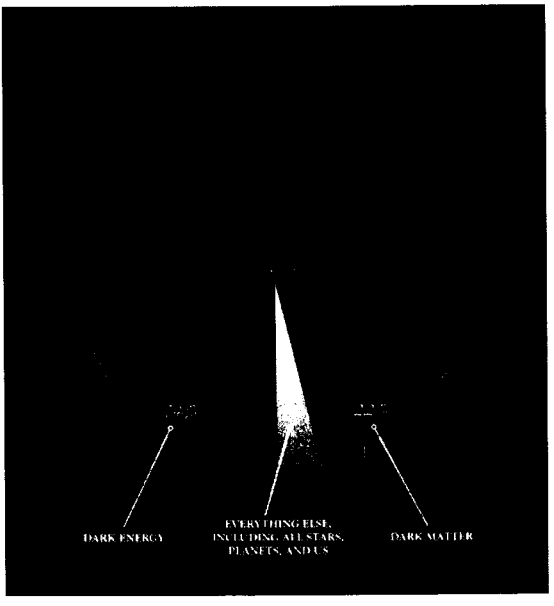

(الشكل 17): حسب الدراسات العلمية الحديثة فإن الطاقة المظلمة تُمثل أكثر من 74% من الكون، بينما تمثل المادة المظلمة 22 %، وما تبقى أي (4 %) فقط هو كل ما نراه من هذا الكون!!

(20) الصورة والبيانات من موقع (فيتور سيوس) (online). " lenergie-noire-controle-la-croissance-des-amas-de-galaxie

http://www.futura-sciences.com//

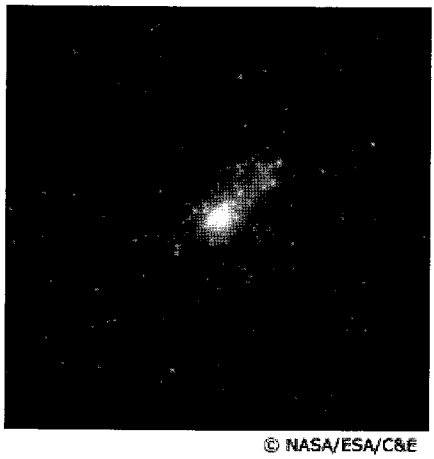

(الشكل 18): التقطت هذه الصورة بواسطة مرصد هابل، وهي لعنقود من المجرات البعيدة، ولقد أُحيطت بهالة كبيرة من الطاقة المظلمة، أُشِير إليها لتوضيحها (باللون الأزرق) [21]

(الشكل 19): صورة رائعة تَمَّ رصدها مؤخراً بواسطة مرصد هابل، فلأول مرة يستطيع العلماء رؤية حلقة من المادة المظلمة وهي تُحِيط بمجموعة من المجرات (تظهر هنا في الصورة باللون الأسود)

فكما لاحظتم - من خلال تلك الصور المعروضة - كيف أنَّ هذا الكون

(21) الصورة في الشكل (18) من موقع nasa. Gov
http://antwrp.gsfc.nasa.gov/apod/ap030814.html
أما الصورة (19) فمن الموقع الرسمي للمرصد الفضائي " هابل "
http://hubblesite.org/newscenter/archive/releases/2007/17/full/

هو أَعظَم مِن أن نتصوَّره، وكيف أنّنا (بكوكبنا الأرض) لا نمثل شيئاً أمامه!!..، فالعلماء يقفون اليوم حيارى لاكتشاف ومعرفة العديد من أسراره وألغازه، وبالأخص لغز تلك المادة والطاقة المظلمة التي تَعُم أكثر من 96 في المائة منه، ولا تتصوروا كم كانت فرحة ودهشة أولائك العلماء عظيمة حين أتحفَهم مرصد (هابل) الفضائي بتلك الصورة المُتفرِّدة (لحلقة المادة المظلمة) المُشاهَدة في (الشكل 18)، مع العِلم أن تلك الحلقة تَبعُد عنا بحوالي خمسة آلاف مليون سنة ضوئية!!..

وجُل - أولائك العلماء - اليوم يطرحون على أنفسهم سؤالاً واحداً: هل بإمكانهم رؤية واكتشاف هذا الكون؟!..

نَعَم.. يطرحون ذلك السؤال، لأن ذلك الكون بعظمته واتساعه يُدهِشهم ويُربِكهم في نفس الوقت، ولكن لا يَملِكون إلاَّ خوض هذا التحدّي لآفاق العلم والمعرفة، وَولَع الإنسان الدائم بمعرفة كل مستعصي ومجهول، لذلك تجدهم في فرحة وغمرة كبيرة حين تَتمكَّن بعض مراصدهم وأقمارهم الاصطناعية باكتشاف صور وحقائق جديدة عن هذا الكون، كما حدث مُؤخراً مع اكتشاف حلقة الطاقة المظلمة، إنَّ هذا يمثل لهم بصيص أمل للمضي قُدُماً نحو تحقيق أهدافهم وطموحاتهم، واكتشاف ذاك العالم الغريب والمجهول!!..

فإذا كان هذا هو تساؤل وطموح أهل العِلم من الغرب، فماذا عنا نحن؟!..

و لعلنا نُعيد السؤال كما طَرحته في السابق: هل سيتمكَّن الإنسان من اكتشاف أغوار هذا الكون العظيم، هل سنتمكَّن من رؤية كل السموات السَّبع؟!..

هل يوجد في القرآن أي إشارات علمية أو لمسات اعجازية تجيب على هذا التساؤل؟!

الإجابة بالقطع: هي بِنعَم - يقول الحق تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 38]، ويقول عز وجل ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 89]

فبالقرآن الكريم آيات عظيمة تَشهد وتؤكِّد أننا سنتمكَّن من رؤية واكتشاف المزيد من هذا الكون، ونُسخِّره ونُسخِّر ما احتوى من مكوّنات وأسرار لنا، وسنتمكَّن من رؤية واكتشاف كل السموات السَّبع، ونَقف على سرِّ عظمتها وتكوينها

(إن شاء الله تعالى)

فمِن الآيات الدالة على هذه الحقيقة، وهذا الإعجاز (الغيبي الكوني)، هي ما شَملته آيات التَّسخير (المذكورة في القرآن العظيم) من دلائل ومعاني عظيمة.

■ آيات التَّسخير العامة وآيات تسخير ما في السموات والأرض:

1 - آيات تسخير ما في السموات والأرض:

ذُكِرت آيات (تسخير ما في السماوات والأرض) في موضعين من آيات الذكر الكريم، وكلتاهما جاءتا بلفظ (سَخَّرَ لَكُمْ)، والآيتين هما:

- يقول الحق تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: 20]

- وكذلك قوله عز وجل: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: 13]

ولقد جاء في تفسير معنى" وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ما معناه (بِأَنَّهُ سَخَّرَ لَهُمْ مَا فِي السَّمَاوَات مِنْ نُجُوم يَسْتَضِيئُونَ بِهَا فِي لَيْلهمْ وَنَهَارهمْ وَمَا يَخْلُق فِيهَا مِنْ سَحَاب وَأَمْطَار وَثَلْج وَبَرَد وَجَعْله إِيَّاهَا لَهُمْ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَمَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْأَرْض مِنْ قَرَار وَأَنْهَار وَأَشْجَار وَزُرُوع وَثِمَار وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعَمه الظَّاهِرَة وَالْبَاطِنَة) (ابن كثير)

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَات" مِنْ شَمْس وَقَمَر وَنُجُوم وَمَاء وَغَيْره "وَمَا فِي الْأَرْض" مِنْ دَابَّة وَشَجَر وَنَبَات وَأَنْهَار وَغَيْرهَا أَيْ خَلَقَ ذَلِكَ لِمَنَافِعِكُمْ "جَمِيعًا" تَأْكِيد "مِنْهُ" حَال أَيْ سَخَّرَهَا كَائِنَة مِنْهُ تَعَالَى "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَات لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" فِيهَا فَيُؤْمِنُونَ) (الجلالين)

* ولنا وَقفة مع مَدلُول هذا التَّسخير: فنُلاحظ أنَّ فِعل التَّسخير جاء مقروناً (بِما في السموات والأرض)، ولم تأتي صيغة الآية الكريمة بمعنى (سخَّر لكم السموات والأرض)، فهناك فَرق وفَرق كبير بين تسخير (ما في السموات والأرض)، وبين (تسخير السموات والأرض)، فالإنسان لا يَملِك لنفسه قدرة تسخير هذه

السموات والأرض، لأنّ السموات والأرض هي من مخلوقات الله تعالى تماماً كالإنسان، والله تعالى (خالِقُهما) وخالق هذا الكون العظيم، هو الوحيد مالك مُلكِه المُتصرّف في شؤونه، المُتحكّم في مساره ونشأته ومماته.

ولكن لأنَّ الإنسان هو المخلوق الوحيد خِلافاً عن باقي المخلوقات الذي أَخذ على عاتِقه حمل الأمانة بما فيها من مشقة ورسالة وتكليف، وقد مَيَّزه الحق تعالى (لكي يتمكَّن من تأدية هذه الأمانة على الوجه الأكمَل) أنْ سخَّر له العديد من مخلوقات هذا الكون (من بحار، وشجر، وماء، وعُشب وثمر... الخ).

ومن الأمور الهامة التي سخَّرها له أيضاً، ومَكَّنه منها هو: تسخير محتوى (ما في) السموات السَّبع (بما حَمِلت) وكلِّ الأرض (بما ثَقُلت)، فلفظ (مَا فِي) المنصوص عليه في بيان نص الآية الكريمة (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) يَحمِل في باطنه كل مدلول ومعنى عظيم خاص. فَ (مَا فِي) يَضُم ويحتوي على: كلِّ شيء يوجد وتتكوَّن منه كل السموات السبع (من السماء الأولى ابتداء إلى السماء السابعة ختاماً)، أي مكوِّنات السموات السَّبع وما يوجد فيهن من تكوين ومكوِّنات وبيئة، ومن مخلوقات مُقدَّر لها أن تكون من ضمن الكائنات المسخرة لنا (كالدواب المُسخَّر لنا في الأرض)، أو كالفلك التي أَذِن لها الرحمن أن تجري في البحر وسخَّر البحر لنا.

والسؤال الذي يجب أن يُطرَح ضمن إطار ولُبّ هذه الحقيقة: كيف لنا أن نُسخِّر أمراً أو أن يَقَع ذلك الأمر تحت طاولة تسخيرنا له ونحن لا نستطيع رؤيته أو معرفته؟! أو الوقوف على بعض أسراره وألغازه بما يُهيّئ لنا - مَعَه - آليَّة التَّسخير تِلك؟!

فذلك المطر الذي يَنزِل من السماء عرفناه ورأيناه، واستطعنا - بفضل من الله تعالى - تسخيره، حتّى نستفيد منه أقصى استفادة. فسخَّرناه لنا ولحياتنا أحسَن تسخير، فبنَينا له السدود، وأنشأنا له الزراعة المُغطاة، وأَسسنا له مِضخات التصفية، ودُشّنت الخطط والمشاريع للمحافظة على الثروة المائية، وعلى ذلك المنبع الأصيل للحياة، وحمايته من التلف والضياع والاستهتار، وتوظيفه أحسن توظيف.

وأيضاً عَمِلنا على دراسة مكوِّناته وكيميائه، وعَرفنا بعض أسراره ووظائفه الهامة لصيرورة الحياة، فسخَّرناه لباقي علومنا الحيَّة وأدخلناه في مجال الطب

والهندسة، والفيزياء والكيمياء الحيوية حتّى باتَت الآن مشاريع الطاقة تَهدِف إلى تسخيره تسخيراً عظيماً كمصدر أساسي وبديلاً لطاقة نظيفة حيوية.

وهاهو البحر أيضاً رأيناه وعرفنا الكثير من أسراره وبيئته فسخَّرناه، واستطاع الإنسان مع تطور العلم والمُعدَّات العلمية أن يغزو قيعان البحار العميقة، دارساً لها مكتشفاً لأسرارها، ومحاولاً تسخير ما اكتشف ورأى وفَهِم لصالحه، أو لصالح معرفة تلك البيئة وقوانينها حتّى يستفيد من إيجابياتها، ويحتاط من سلبياتها. فهل كنا سنستطيع أن نُسخِّر البحر أحسن تسخير دون إدراكه أو معرفته؟!..

وهكذا الأمر في كلّ كائن خلقه الله تعالى في هذا الكون وخصَّه أن يكون من ضمن المخلوقات المسخَّرة لنا، ومعنى مسخَّر لنا: أي (مُدلَّل) و(مُطِيع) لنا.

* تسخير البحر: كما ذكرنا، فالبحر مسخَّر لنا بإذن الله تعالى مصداقاً لقوله عز وجل ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل: 14]

* تسخير الفلك: قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [إبراهيم: 32].

(الشكل 20): فهته البحار بما حملت واحتوت في أعماقها من خيرات هي مُسخَّرة لنا بإذنه عز وجل

(الشكل 21): فلولا البحار لما انتظمَت حياة على وجه الأرض

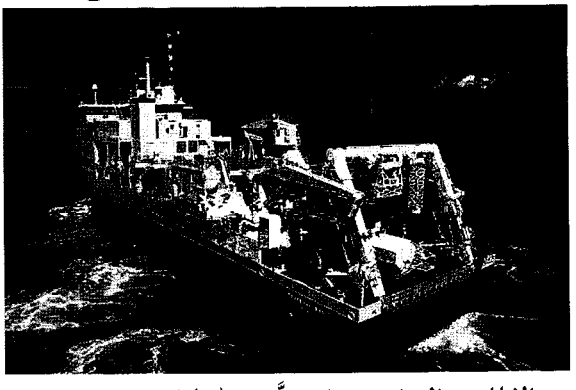

(الشكل 22): وهته الفلك والسفن مما سخَّره الله لنا من رحمَات ونِعَم، فانظر إليها!

كيف تجري في البحار(بإذنه عز وجل)

(الشكل 23)

ولنا أن نتساءل كيف تجري تلك السُّفن الهائلة على سطح البحار

والمحيطات ولا يُصيبها الغرق؟ فهذا التساؤل يُمكِن أن يطرحه كل شخص صغير كان منا أو كبير، لأنَّ الأمر فعلاً مُوجِب للتساؤل والاستغراب، فأنت مثلاً إن رميت بقطعة حجر ولو صغيرة الحجم خفيفة الوزن فإنها سَتغرق داخل قيعان البحار ولن تراها بعد ذلك! فكيف لا تَغرَق السفن وهي بذلك الحجم الهائل من القوة والثقل؟!

يقول الحق تعالى ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ فلقد علَّم الله تعالى الإنسان أن يَصنع ويبني السفن ضمن شروط يُحدِّدها البحر، ومن ضمن تلك الشروط قانون أُطلِق عليه قانون (دافعة أرخميدس) [22]. نلاحظ من هذا القانون أنَّ دافعة أرخميدس تزداد بزيادة حجم الجسم المَغمُور في الماء، لذلك يجب أن يكون الجزء المَغمُور من السفن داخل مياه البحر ضخم الحجم وأَجْوَف، وأيضاً قوة دَفع مياه البحر تزداد بزيادة الحجم، لذلك يجب أن يكون حجم السفينة كبير، وهو شرط من شروط توازنها، دون أن ننسى دور نسبة الملوحة في البحار، فهي تَلْعَب دوراً هاماً في هذه القوة، فكلما ازدادت ملوحة البحر ازدادت الكثافة، وبالتّالي ازدادت دافعة أرخميدس وأصبحت أكبر، ويُمكِن أن نلاحظ هذه الظاهرة جيداً في البحر الميت فهو يَتميَّز بنسبة ملوحة كثيفة مقارنة مع باقي البحار، لذا نَجِد فيه دافعة أرخميدس أكبر، ونادراً جداً ما سَمِعنا أنَّ سفينة ما غَرقَت في ذلك البحر، بل يكاد يكون غرق السفن في البحر الميت منعدماً..، فسبحان الذي سخَّر لنا البحر لنعرف قوانينه وشروطه وعلَّم الإنسان ما لَم يعلم.

* تسخير الأنهار: يقول الحق تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴾ [إبراهيم: 32]، وهاهي الأنهار أيضاً نراها، رؤية بصرية وأخرى علمية استكشافية، وهاهي هي أيضاً مُسخَّرة لنا، ومن معالِم تسخيرها أنَّها تَحمل معها وفي شرايينها وينابيعها وفروعها كلَّ الخير والنماء وأعظَم مثال على ذلك تفرعات نهري النيل ودجلة والفرات العظيمين، فنَجِد السدود وقد شُيِّدت على ضفاف تلك الأنهار، ونجد السفن

(22) التعريف : دافعة أرخميدس هي القوة المسلطة من طرف سائل ما على جسم مغمور في هذا السائل و هي شاقولية من الأسفل إلى الأعلى .

والعوامل المؤثرة في دافعة أرخميدس : إن حجم الجسم المغمور و السائل الذي يغمر فيه الجسم هما العاملان الوحيدان اللذان يؤثران في دافعة أرخميدس.

ومراكب الصيد تجري فيها وتَرْسُو عند موانئها مُحمَّلة بكل الخير والخيرات، ومحاسن وفوائد الأنهار لا تُعَد ولا تُحصى فَهُمْ شرايين الحياة للأرض (انظر الصورة المرفقة).

(الشكل 24): جَمال وخيرات نهر الأردن

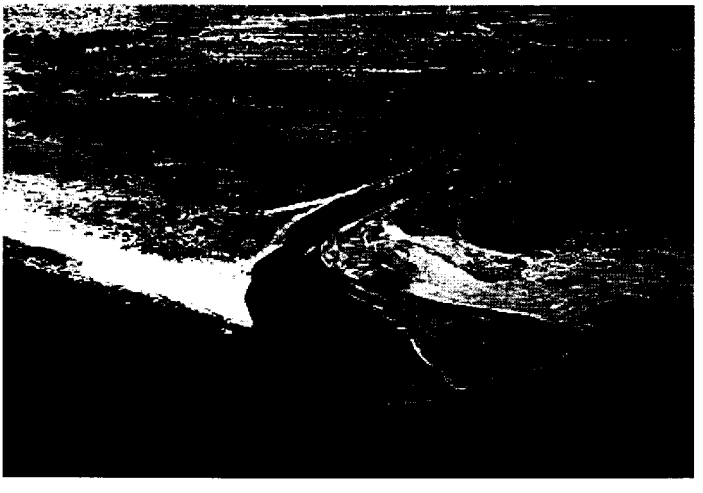

(الشكل 25): نهر الأردن

(الشكل 26): نهر النيل العظيم: أطول نهر في العالم (صورة بالأقمار الاصطناعية)

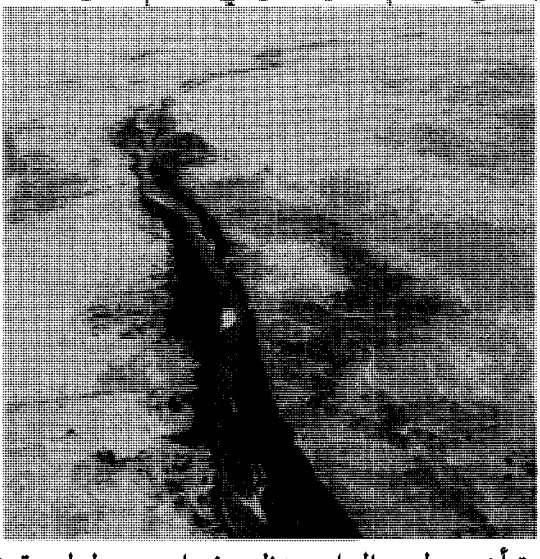

(الشكل 27): صورة أخرى لنهر النيل، ويَظهر فيها مدى طول وقوة هذا النهر العظيم

(الشكل 28): خيرات نهر النيل، هِبة الحياة (صورة بالأقمار الاصطناعية)

* تسخير الشمس والقمر والليل والنهار: يقول الحق تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ابراهيم: 33].

ومن عظيم ما سخَّره الحق تعالى لنا هما آيات (الشمس والقمر) و(الليل والنهار)، ومهما جلسنا نتحدَّث ونرى معالِم عظيم هذا التَّسخير فلن يكفينا في ذلك كتب ومجلدات، فآيات الشمس والقمر والليل والنهار، هي من آيات الله العظيمة في هذا الكون، ويكفي أن نَعرف أنَّ الحق تعالى جَعل موقع (أرضِنا) مركزاً (كونياً محورياً) أمام الشمس والقمر وأمام الليل والنهار، وأمام كل هذا الكون، ولا نَتردَّد في أن نقول - وبكلِّ ثقة ومصداقية - إنَّ أرضنا هي (مركز هذا الكون)، فإنَّ فِعل (التَّسخير) الذي مَنحَه الله تعالى للإنسان لكلِّ هذا الكون لا يُمكِن أن يُثبَت عِلمياً وعَملياً، إلاَّ إذا كان هذا الإنسان يَأخُذ موقعاً مركزياً في هذا الكون: فمِن الناحية الجغرافية سنقول وبكل ثقة وثبات أنَّ (الأرض هي مركز الكون)، ومن ناحية حَمْل الأمانة و(رسالة التَّكليف) التي أُنيط بها الإنسان فإن الأرض (مَقَر هذا الإنسان) هي بُؤرة واهتمام كلّ هذا الكون، فَيكفي حين خلق الله تعالى " آدم " عليه السلام، جَعَل كل الملائكة تسجُد له وعلَّمه من الأسماء كلِّها (العلم الوهبي الربَّاني العظيم)، مِصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة: 31 - 33].

فالحق تعالى جَعل آدم وذريته خليفة في هذه الأرض، ومن مُوجِبات هذه الخلافة أنْ يتَعلَّم آدم من ربه (عز وجل) أسماء العِلم والمعرفة، التي تؤهله للإناطة والإحاطة بهتِه (الخلافة) في هذه (الأرض)، وحَمْل (الأمانة العظمى) على أكمل وجه من الإدراك والمعرفة، فعلَّمه أسماء الأنبياء والرسل (أهل الإصلاح في الأرض وحاملي الرسالات من ذريته)، وعلَّمه من أسماء كل العلوم ومداركها (في الأرض وفي السموات)، فكما ذَكَرنا كل السموات والأرض مُسخَّرة لهذا الإنسان، فكيف للإنسان أن يستفيد من هذا التَّسخير دون عِلمٍ منه لأسماء السموات بما حملت

والأرض بما ثَقُلت؟! وعلَّمه أسماء الأفعال (أفعال الخير والشر)، وعلَّمه بيان (أسماء) علوم دنياه التي سَيرِثُها وسيُستَخلَف عليها، وهكذا فأبونا "آدم" عليه السلام حَمِلت شَفرته الوراثية الأصلية (أساس كل شفرات بنو آدم) أَصل كلِّ المعارف والعلوم الربانية، لذلك تجدنا نحن البشر وَرِثنا بالتوالي تلك المدارك والعلوم، كل واحد منَّا أَخد حقَّه ونصيبه منها، واستقرَّت في عقله الباطني وفي شفرته الوراثية، فخَرَج من ظَهْر أبونا آدم عليه السلام علماء ربانيون عِدّة، الذين أحسنوا توظيف ما ورثوه واكتسبوه بِحُبهم للعلم وسعيهم نحو المعرفة، فَفَتح الله لهم معطيات تلك الشَّفرة الوراثية وأَحسنوا توظيفها، فنَبغ هذا في الفيزياء، والآخر في الرياضيات والآخر في الفلك..، ومنهم من استغل عِلمه لكل خير ومنهم من طَغى وتجبَّر، وقال كما قال قارون ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: 78].

2 - أوجه الإعجاز:

لقد كان هدفنا من طرح الأمثلة السابقة من (تسخير للبحار، والفلك، والأنهار.. الخ) التوصل إلى خلاصة وحقيقة واحدة، ألا وهي: كيف يستطيع الإنسان تسخير شيء ما؟! أو أمر ما؟! دون أن يَعلم أو يُحيط على بعض أسرار ذلك الشيء وذلك الأمر، ويَقِف على بعض جوانبه وقوانينه الطبيعية الهامة بما يُؤهِّل له آلية تسخيره تلك، وهنا نتكلم (إضافة للرؤية البصرية للشيء المُسخَّر) عن (الإدراك العلمي، والرؤية العلمية، والمعرفة العلمية).

فحين يُخاطِبنا الحق تعالى بقوله عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: 20]، فالمقصود هنا بـ (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)، هي الرؤيا العامة بجميع تخصصاتها وتنوعاتها وأبوابها، من الرؤية المباشرة البصرية إلى الرؤية العلمية الإدراكية، وكذا الرؤية الإيمانية.

فنحن مثلاً نرى سطح الأرض بنباتها وأشجارها ومياهها وأنهارها وبحارها.. الخ، ونستطيع أن نُسخِّر بعض قوانين تلك الكائنات لنا بما تستقيم الحياة وتتطور، ونستطيع أيضاً أن نحفر داخل الأرض (لِعُمق جد محدود معين) فَنكشِف

بذلك عن مياه الآبار ومياه العيون الصحية، ونستخرج معادن الأرض وثرواتها وكنوزها ونكتشف أيضاً بعض أسرار طبقات الأرض السطحية، فيَسهُل علينا بذلك توظيفها أحسن وظيفة والحفاظ على توازنها أحسن حفاظ، ولكننا لا نستطيع أن نرى أعمق من ذلك!!.. فإذن رؤيتنا البصرية تَقِف عند حَد مُعين من عمق الأرض، أمّا رُؤيتنا العلمية فهي ممتدة إلى أبعد من ذلك، فلقد استطاع الإنسان على مر الزمان تطوير معارفه وأدواته العلمية لاكتشاف المزيد من أسرار الأرض وما حولها، حتّى بِتنا نُشاهِد في - زمننا الحالي - أهل العلم والمعرفة من علماء جيولوجيّين وغيرهم، يمدوننا بمعلومات جِد قيمة عن مكونات هذه الكرة الأرضية، وما تحمل بداخلها من تكوينات وطبقات، وأصبحنا نَعرف (وكأننا نرى أعماق الأرض فعلاً) أنها تتكون من 7 طبقات طباقاً، كل طبقة لها مواصفاتها ومكوناتها الجيولوجية الخاصة، من القشرة الأرضية إلى النواة الداخلية الحديدية الصلبة (انظر الشكل 29 و30).

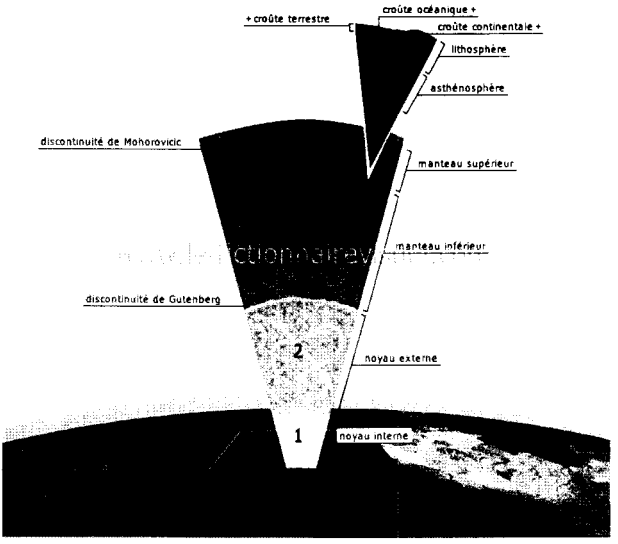

(الشكل 29): طبقات الأرض السبع (1 - نواة داخلية صلبة، 2 - نواة خارجية سائلة 3 - الوشاح الداخلي الصلب 4 - الوشاح الأعلى اللدن 5 - طبقة أستينوسفير صلبة 6 - الغلاف الصخري، 7 - طبقة القشرة الأرضية " القشرة القارية والقشرة تحت المحيطات ").[23]

(23) انظر موقع (القاموس المرئي) " Structure de la terre".

والجدير بالذكر أنَّ طبقة (ليتوسفير) تضم كل من الغلاف الصخري والقشرة الأرضية، و(الوشاح الخارجي) يضم كل من الوشاح الأعلى اللدن وطبقة أستينوسفير الصلبة.

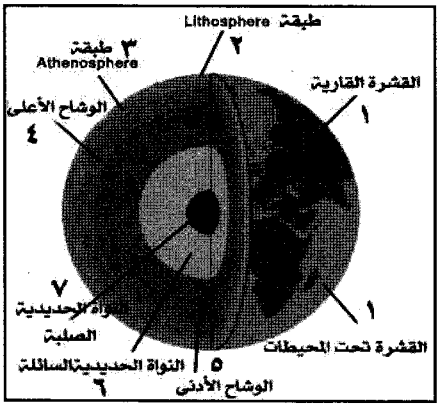

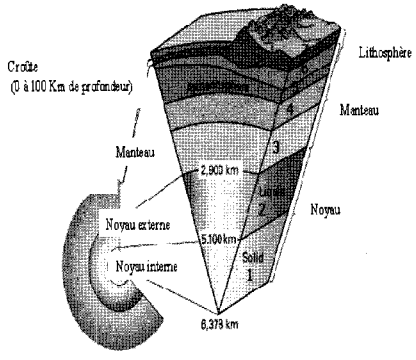

(الشكل 30): رسم توضيحي آخر لشكل طبقات الأرض السَّبع. [24]

وإذا كان هذا عن الأرض وتسخيرها، وذلك برؤيتها واكتشاف بعض أسرارها ومكوناتها فماذا عن تسخير السموات؟!.. فالآية الكريمة تُخاطِبنا وتقول بتسخير كُل ما في السموات والأرض (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)، فكيف يُمكننا تسخير هذه السماوات دون أن نتمكَّن من معرفة ما يجب معرفته من أمر تلك السموات؟!.. بِما يُوجِب لنا معه معنى التَّسخير.

فنحن طبعاً لن نتمكَّن أن نُحِيط علماً بكُلِّ ما أودعه الله تعالى من سر وأسرار في كونه وخلقه، ولكن الله تعالى مَنَّ على الإنسان ورَفعَه إلى أعلى المقامات وأرقى الدرجات وكَرَّمه على باقي مخلوقاته تكريماً عظيماً، ومن مَعالِم هذا التكريم أنْ جعل كُلَّ ما في السموات والأرض مُسخَّرة مُدلَّلة له، وزَكَّاه بِنُور العلم وسُلطان العقل، الذي من خلاله استطاع هذا الإنسان أن يَتبَوّأ مواقع عالية

=

http://www.ledictionnairevisuel.com

(24) انظر موقع ."ocean.asso" . مقال (التكوين الداخلي للأرض)
http://www.ocean.asso.fr/dossiers/tsunami%20Jenifer/globe.htm
وانظر أيضا ، ع. الكحيل ." حقائق جديدة عن الجبال " . موسوعة الإعجاز العلمي.

داخل سُلَّم هذا التَّسخير.

فأصبح يَمتلِك من الأدوات العلمية، ما أهله لكي يَأمُر تلك الآلة أن تُبحر في أجواء الكواكب والفضاء، وتجلب المعلومات والأوامر المطلوبة منها، فتطيعه وتُنفِّذ كلَّ أوامِره وتعود وهي مُحَمَّلة بأسرار ما كانت تخطر على بال أيِّ أحد أنَّ الإنسان سيتمكَّن يوماً ما من معرفتها واكتشافها.

لذلك حين ننظر إلى معالم هذا التَّسخير، فلا نستطيع إلاّ القول: إنَّ الإنسان سَيتمكَّن من رُؤية باقي السموات واكتشافها، اكتشافِها (الاكتشاف العلمي)، ورُؤيتِها (الرؤية العلمية الإدراكية).

لأن - يا أحبتي في الله - ما معنى كلمة التسخير، وما معنى تَنامي التسخير؟؟

■ معنى التَّسخير:

إنَّ كلمة التَّسخير تَحمل في شقَّيها معنيان، المعنى الأول مَنُوط بنفس الشيء المُسخَّر لنا لأن معنى (سخَّر لكم) أي دلَّل وأَخدَع والمعنى الثاني منُوط بنا نحن وبقدرتنا على معرفة آليات تسخيره مثال على ذلك:

فالماء طبعاً سخَّره الله تعالى لنا، فلَسنا نحن من نتحكم في وقت نزوله أو كمية نزوله أو في أي بقعة سينزل، وليس في مقدرونا أيضاً أن نَذهب به؟ فالله وحده هو الذي يَأمر الماء فينزل في البقعة الفلانية، في الوقت الفلاني، وهو وحده (عز وجل) القادر على ذهاب مخزونه، أو إيقاف نزول الغيث والمطر، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الواقعة: 68 - 70]، وقوله عز وجل ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المؤمنون: 18]. فهذا جزء من التَّسخير خاص بالشيء الذي سَخَّره الله لنا، أما الجزء المنُوط بنا نحن، فنحن يُمكننا مثلاً أن نَشُقَّ السواقي ونبني السدود فَنتحَكم في مسار ذلك الماء (بإذنه عز وجل) ونعمل على تحسين جَوْدَة بعض المياه كمياه البحر، ونُقِيم الزراعات والمحطات، إلى ما شابه ذلك من إمكانيات وآليات تسخير هذا العنصر الحيوي الأولي للحياة.

ونفس المعنى يَنطبِق على ما سخره الله لنا من فلك وبحار وأنهار إلى سائر مخلوقاته.

وبالتّالي فالجزء المنوط بنا نحن هو ما نبحث فيه الآن ونرغب بتسمِيته وتعريفه، وهو الذي يَدخُل في باب ومعنى (تَنامي التَّسخير)، فما معنى تَنامي التَّسخير؟!

■ تَنامي التَّسخير:

إنَّ تَنامي التَّسخير هي قدرة الإنسان للوصول بِعلمه إلى أقصى درجات المعرفة والإدراك معرفة قوانين (الشيء المُسَخّر) وإدراكه واكتشاف نُظمِه ووظائفه ودقائق مُكنوناتِه، فآلية تنامي التَّسخير هي (العلم) الذي من خِلالها يُمكِننا توظيف وتسخير (الشيء المُسخَّر) لخدمة الإنسان في كلِّ حياته على وجه هذه الأرض.

فإنَّ السُّلطان هنا هو سلطان (العلم) التي استطاع من خلاله الإنسان أن يغزو أجواء الفضاء، بصواريخه وأقماره الصناعية الذي استطاعت اختراق حاجز الصوت، وإن شاء الله تعالى الإنسان الآن ماض وبِخُطى جِد وثيقة لمحاولة اختراق حاجز الضوء أيضاً.

■ وخُلاصة القول:

إنَّ كلَّ المعطيات والمؤشرات التي أمامنا تقول، إنَّ الإنسان لم يَعُد بعيداً أبداً على معرفة السماء، نعم.. فلم نعد بعيدين - بإذن الله تعالى - على أن يَتحقق في زماننا الحاضر قوله عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: 20].

بل إنَّنا نَقِف الآن مبهورين أمام هذا التسابق الجارف من المُستجدات العلمية التي تنهار علينا كل ثانية ودقيقة، تَسارُع وتَسابُق لم يشهد له مثيل في أيّ عصر؟!.. وهذه إشارات كلها تُفيد أنَّ الإنسان (وعن قريب) سيتمكَّن - بإذن الله تعالى - مِن رؤية واكتشاف السموات السَّبع، نَعَم إنَّ حاجز الضوء سَيتكسَّر وآلة اختراق الزمن مع المكان سَيتمكَّن الإنسان من معرفتها.. فيتطلع برُؤيته العلمية والإدراكية إلى مكنون أغوار الكون، ونرى ما فوق هذه السماء الدنيا..، ونعرف ما

لغز تلك الثقوب السوداء وسر الطاقة المظلمة إلى غيرها من الألغاز والأسرار.

فقول الحق تعالى في محكم آياته قول واضح وجلي، لا يحتاج لنا معه أدنى تساؤل أو وضوح آخر أو سوء فهم أو إدراك.

يقول الحق تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: 20].

وعند هذا الحد، ننتهي من هذا الفصل ومن بيان هذه الحقيقة، لِنمُر بفضل من الله تعالى ونعمة إلى حقيقة أخرى، التي لها صلة ومتابعة وثيقة بما كنا نخوض فيه الآن، فنستعرض بعض الأطروحات والنظريات التي قِيلَت لحد الآن حول حقيقة المادة المظلمة والثقوب السوداء، وغيرها من النظريات والأبحاث التي تَوصل إليها العلم حديثاً، بل وأيضاً الرد على نظرية هل يستطيع الإنسان السفر عبر الزمن؟!.. وما مفهوم هذا السفر؟! وما هي حدوده؟!..

الحقيقة الخامسة..

أين نقف

على عتبات هذا الكون؟!..

(لغز الثقوب السوداء، المادة المظلمة، الثقوب الدودية!!..)

أصبَحنا نُدرك من خلال ما تَمَّ طَرحه سابقاً، أنَّ الإنسان سيَتمكَّن - بإذن الله تعالى - من الكشف عن سر هذا الكون الفريد، والوقوف على أَغواره وأبعاده، ومعرفة نُظمِه وقوانينه، فيتَرقّى بمعارفه ومداركه سُلماً سُلماً حتّى يَصِل بارتقائه إلى معرفة لغز هذه السموات وأسرارها، فتَحمِل لنا هذه المعرفة رؤية كل الآيات والبراهين الدالة على عظمة هذا الخلق، ووحدانية الله تعالى (جل جلاله) الخالق لهذا الكون العظيم.

ماذا سيحمِل لنا هذا العلم من مفاجآت؟!..:

■ ولكن السؤال الذي يُثَار ويُلِح علينا الآن: أين نقع نحن - اللحظة - أمام سُلَّم هذه المعرفة؟! والى أين وَصلَت الاكتشافات العلمية الحديثة؟!.. وماذا حَقَّق العلم في هذا المجال؟! والى أين تسير الأبحاث العلمية الحالية؟! وما هي النظريات المطروحة الآن الأكثر قبولاً لفهم سر هذا الكون العظيم؟!..

أسئلة كثيرة تُطرَح ومعرفتها أصبحت من الضروريات الملحة، لأنَّنا أصبحنا نعيش ومع تقدُّم هذه التكنولوجيا، في شِبه قرية الكترونية، وأيّ تأخر عن الوصول إلى هذه المعلومات سَنجِد أنفسنا بعد برهة من الزمن خارج هذه المنظومة.. غرباء عنها!!.

ولقد حاول العلماء تشكيل تصور ورد على جل هذه المواضيع الحساسة،

حيث أُجري سابقاً حوار خاص مع العالم الفيزيائي الشهير(ميتشيو كاكو) Michio Kaku.

قَدَّم من خلاله رؤيته الشاملة وتصوراته لمستقبل التطور العلمي الذي سَيشهدُه قرننا الحالي (القرن الواحد والعشرين)، وطَرَح كذلك بعض السيناريوهات والتنبؤات الهامة بهذا الشأن.

والجدير بالذكر أنَّ هذا العالم يُعَد من أحد أَبرز علماء الفيزياء على المستوى العالمي، لدرجة أنه عُرِف في الأوساط العلمية بخليفة (آينشتين)، فهو أحد مؤسسي نظرية(الأوتار الفائقة) الشهيرة[25]، وحائز على جائزة نوبل في الفيزياء، ويعمل حالياً أستاذ كرسي " هنري سيمات " للفيزياء النظرية في جامعة (سيتي كوليج) الأمريكية، كما أنَّ له برنامجاً إذاعياً جد شهير، يُذَاع أسبوعياً ولمدة ساعة كاملة بكل الولايات المتحدة.

وهو أيضاً صاحب أكثر الكتب مبيعاً في مجال الدراسات المستقبلية لعلوم الفيزياء والفلك نَذكُر منها على سبيل المثال:

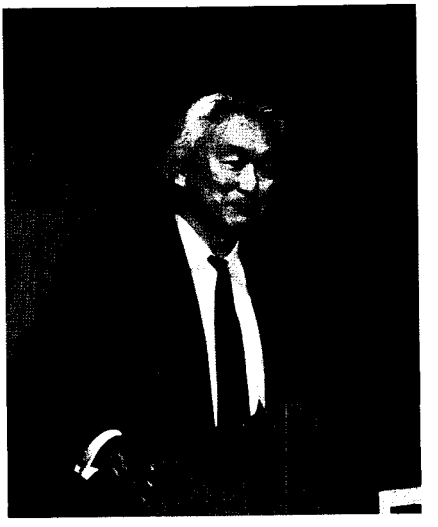

العالِم الفيزيائي الشهير(ميتشيو كاكو)

(25) انظر موقع العالم كاكو، ولد في سان جوزيه بولاية كاليفورنيا الأمريكية في 24 يناير 1947 من والدين يابانيين مهاجرين إلى الولايات المتحدة .

الدكتور ميتشيو كاكو هو عالم مختص بمجال الفيزياء النظرية، ومتخصص في نظرية الحقل الوتري بالإنجليزية String field theory ، ويشتغل أيضا كعالم مستقبليات.

كتاب (الفضاء المتعدِّد)، وكتاب (ما بعد آينشتين: البحث العالمي عن نظرية الكون)، وكتاب (نظرية المجال الكمي: مقدمة حديثة)، وأيضاً كتابه (مدخل إلى نظرية الأوتار الفائقة الدقة).

أما كتابه الشهير - (رؤى مستقبلية: كيف سَيغيِّر العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين) فلقد كان من بين أكثر الكتب شهرة وقبولاً، لما حَمَل من مواضيع جد هامة تعرضت وبشكل علمي جد دقيق لمدى تطور العلم في القرن الواحد والعشرين، وأيضاً لمدى تأثير ذلك على شكل ونمط حياتنا!؟.. وماذا سينتظرنا نحن كبشر أمام هذا الزَّخم الهائل والخطير من هذا التطور؟!..

فلقد حرص (ميتشيو كاكو) في كتابه على عرض وجهة نظر أكثر من 150 عالماً من ذوي الاختصاص والمعرفة في شتّى العلوم والمجالات، والمنتمين إلى كبريات المعاهد البحثية في العالم (بعضهم حائز على جائزة نوبل في مجالات مختلفة)، فحَملت حواراتهم توقعات جادة ورزينة، قائمة على أسس ومقدمات علمية واقعية، تتمحور مجملها حول توجهات العلم في القرن الواحد والعشرين، فحَمِل بذلك كتاب (رؤى مستقبلية: كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين) رؤية علمية عميقة انطلقت من الواقع الملموس الذي نعيشه لدراسة توقعات المستقبل القريب جداً [26].

فماذا سينتظرنا في هذا المستقبل القريب؟!..

وماذا سيحمِل لنا هذا العلم من مفاجآت؟!..

وكيف ستُغيِّر هذه المعرفة حياتنا في القرن الواحد والعشرين؟!..

■ رؤى مستقبلية: كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين (الكاتب ميتشيو كاكو) بنا الكاتب (ميتشيو كاكو) في كتابه (رؤى مستقبلية) تصوراته على أساس ثلاث محاور أو ثورات علمية عظيمة شهدها القرن العشرين، التي كانت بمثابة الشرارة التي أَطلقَت آفاق هذا التطور العلمي المذهل، وهي: مجال الحاسوب وثورة المعلومات، وثورة الجينات (الثورة البيوجزيئيّة)، وثورة الذرة

(26) رؤى مستقبلية ـ كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين. ميتشيو كاكو. ت: سعد الدين خرفان. الكويت: عالم المعرفة 270.

(نظرية الكم) في مجال الفيزياء.

- فلقد فتحت لنا - مثلاً - ثورة الجينات وفك (شفرة الجينوم) البشري لنواة الخلية الباب على مصراعيه لتطور العلوم ومجال الطب، فساهم ذلك في تحسين الحياة الصحية بشكل واضح وكبير.

- أما(نظرية الكم) وتلك الثورة العظيمة التي حصلت في مجال الذرة، فلقد مكَّنتنا بفعل ما توصل إليه (أرفين شرودنجر) و(فيرنر هايزنبرج) وعلماء آخرون، من فهم القوانين الأساسية للمادة وأبعادها بشكل جد دقيق، لِدرجة أنّه تَمّ التوصل عند بداية القرن الحادي والعشرين إلى التحكم في المادة وتصميم أشكال جديدة منها حسب رغبتنا تقريباً.

- أما ثورة الحاسوب والمعلومات فلقد جعلتنا نعيش في ما يُشبِه القرية الالكترونية، وما زال لحد الآن يعمل هذا الكمبيوتر السحري وشبكته العالمية على تغيير أنماط حياتنا تغييراً شبه جذري، وسنرى المزيد والمزيد من هذه التغيرات بانتشار ما يسمى بـ (الأنظمة الذكية)، أو ما يُطلَق عليهم (العملاء الأذكياء) انتشاراً واسعاً في كل مكان.

وكما - ذكرنا - فلقد شكلت لنا هذه الاكتشافات العلمية المُطردَة أعمدة العلم الجديد وفتحت لنا الباب على مصراعيه نحو آفاق جديدة ومغايرة من المعرفة والتطور العلمي فلقد خَلَّف لنا العقد الأخير من القرن العشرين - وبِحق - معرفة علمية لم يشهد لها التاريخ البشري مثيلاً، وها نحن الآن أصبحنا نرى - ونحن نعيش عتبات هذا القرن الواحد والعشرون - ثورات علمية جديدة تحمل لنا معها كل غريب وخطير!!..

وتحت عنوان هذه التغيرات وهته الثورات العلمية، قدَّمَ لنا العالم (ميتشيو كاكو) عبر كتابه الفريد (رؤى مستقبلية) تصوراً دقيقاً لهذا التطور الذي ستعرفه العقود القليلة القادمة، حيث قسَّم تصوراته تلك إلى ثلاث مراحل مترابطة بينها ترابطاً كاملاً ومتكاملاً المرحلة ما بين عامين (**1998 - 2020**)، والمرحلة الثانية من (**2020** إلى **2050**)، أما المرحلة الثالثة فلقد خَصَّص لها الكاتب من **2050** وحتى نهاية القرن الحادي والعشرين.

* فمثلاً المرحلة الأولى: (**1998 - 2020**) خَصَّصها الكاتب إلى ذلك النمو الهائل الذي سيعرفه مجال التكنولوجيا (الكمبيوتر) ومجال العلوم الحية، فتقول التوقعات إنَّ طاقة الجهاز ستتضاعف بشكل كبير، وسَنتمكَّن من اختراع حواسب أكثر حداثة وأرخص ثمناً، لدرجة و(بحلول **2020**) ستكون الحواسب في متناول الجميع وأرخص من الورق، إذ سنعيش بالفعل ما يُطلَق عليه الخبراء (البيئة الالكترونية)، وهذا التطور سيأتي كنتيجة تلقائية لقدرة العلماء وتَمكُّنهم من اختراع شرائح الكترونية (سيليكونية) بترانزستورات شديدة الصغر والدِّقة. وستبقى الابتكارات تتوالى في هذا المجال حتّى تصل هذه الشرائح إلى حدِّها الأقصى من الصغر، حينها سينتهي بذلك ما يسمى عصر (السيليكون)، لكي تَنطلِق من بعده موجة جديدة من الاكتشافات التي ستتجه أكثر فأكثر نحو الدِّقة والصغر، وذلك بمزيد من البحث في أسرار جزئيات المادة وتسخير قوانين فيزياء الكم في ذلك تسخيراً واسعاً، إلى أن تصل بنا تلك الاكتشافات إلى اختراع أجهزة في منتهى الأعجوبة من الدِّقة والصغر (كالسفن والطائرات والمعدات الطبية. الخ)، لدرجة أنه سيكون بمقدور هذه الأجهزة (كما يتوقع العلماء) السفر داخل الأنسجة والشرايين واكتشاف الأمراض المعدية، فعلى سبيل المثال سيكون جهاز صغير قادر مثلاً على قتل وتدمير خلايا السرطان بشكل لا يصدقه عقل، ومن ثَمَّ الرجوع آمنا إلى مركزه خارج جسم الإنسان!!..، فما كُنَّا نراه ونُشاهده بالأمس ونَعتبرُه من أفلام الخيال العلمي سيصبح عند نهاية هذا القرن واقعاً ملموساً يعيشه أبنائنا وأحفادنا بكل تفاصيله وحيثياته!!..

أما في مجال العلوم الحيوية، فإنَّ التطور الحاصل في مجال التكنولوجيا الكمبيوتر سيُلقي بظلاله الكبيرة على تطور الأبحاث البيوجزيئية، حيث سَنتمكَّن من خوض غِمار خريطة الجينات، وكشف الكثير من أسرارها، مما سيؤهل لنا نقلها من هناك وهناك وتعديلها، وربما أكثر من ذلك؟!، حيث تتجه طموحات العلماء نحو تخليق صفات وراثية جديدة؟! إذا استطاعوا فعلاً التحكم في هذه الخريطة التحكم الكامل المطلوب.

و سيعرف الطب أيضاً تقدماً مذهلاً بمعرفة المزيد من أسرار البناء "الجزئي للخلية "، لدرجة أنَّ العلماء سيَتمكَّنون (بناءا على هذه التوقعات) من زراعة وتربية

أعضاء كاملة للإنسان (كالكبد والكلى.. وغيرها) داخل معامل خاصة، أو ربَّما حتّى في الفضاء!! أي في المستعمرات الفضائية التي يُخطَّط لها ضمن منظومة هذا التطور العلمي.

* أمّا المرحلة الثانية: (**2020** الى **2050**) فسَتعرف نمواً رأسياً في هذه المعارف والاكتشافات، إذ سنصطدم بضرورة ابتكار شرائح أفضل من الشرائح السيليكونية، فتتجه حينها قوانين فيزياء الكم إلى البحث عن البديل، وذلك باختراع آلات بحجم الجُزئيات، وهي آلات بمواصفات لم تُعرَف مِن قبل، تَدخُل في إطار ثورة علوم (النانوتكنولوجي)، فإن ثورة تقنية (النانوتكنولوجي) ستُمكِّن الخبراء من اختراع آلات وأجهزة ومعدات (أيونيَّة) تَجُوب بالإنسان أرجاء الفضاء، وتُمكِّنه من معرفة المزيد من أسراره وقوانينه، لدرجة أنه بإمكاننا التصور ومِن الآن والقول أنَّ سفر الإنسان حول النجوم والمجرات سيُصبِح من الأمور البديهية الشائعة والمعتادة؟!..

أمّا عن الابتكارات الأخرى التي ستعرفها هذه الحقبة فَحدِّث ولا حَرج، فما دمنا على عتبة ثورة (النانوتكنولوجي) فكل التوقعات إذن محتملة، إذ سيعرف مجال الكومبيوتر اختراع حواسب بصرية أو جزيئية، أو اختراع إنسان آلي فائق التطور يكون بمقدوره فهم اللغة والتمييز وإدراك الأجسام من حوله وبالتّالي التحكم فيها، يُمكِننا القول أنَّ علاقة الإنسان بالآلة ستتغير بشكل جذري على إثر هذه الثورة.

وأي تقدم في هذا المجال سيُلقِي بظلاله أيضاً على مجال العلوم الحية، وستزيد معرفتنا حول الوظائف الأساسية للجينات، وبالأخص التفاعل المُعقَّد بينها، وكخُلاصة إنَّ هذه المرحلة ستعرف قفزات كبيرة في عِلم الجينات والتحكم فيها، وسيتَمكَّن العلماء من حل شفرة بعض الأمراض المزمنة، وستتجه الطموحات إلى المضي قُدماً نحو مشاريع الاستنساخ (البشري)؟! رغم الاعتراضات الكبيرة عليه الآن، إلى غير ذلك من الاستعمالات الخيرة أو السيئة في هذا المجال.

* أمّا في المرحلة الثالثة: من **2050** وحتّى نهاية القرن الحادي والعشرين، فيُصرِّح الكاتب (ميتشيو كاكو) أنَّ مدى نتائج تطور الثورة (النانوتكنولوجي) وأبعاد الاختراعات ستكون شِبْه ما غامضة في هذه المرحلة، حيث يجب أن نعرف فقط أنه

سيصبح بالإمكان تطوير الإنسان الآلي لدرجة يُصبِح معه قادراً على اتخاذ قرارات مُستقلَّة!.. كما ومتوقع وبشكل كبير أن يَطرَح العلماء برنامجاً طبياً للتحكم في صحة إنسان الغد، وذلك عن طريق التكييف الجسدي وأيضاً المخي لأطفالنا؟! ولا نَعرِف كيف سيتم عَمَل هذا التكييف؟! الذي سَيتحكَّم في تكوين الجسم ومخ الإنسان؟! وسَتدخُل أيضاً قوانين نظرية الكم بشكل كبير في مشروع جديد لإنتاج الطاقة، وستمضي المشاريع لبِناء مستعمرات في الفضاء، وليس بعيداً أن نجد خلال عقود قليلة بطاقات سياحية فضائية تُوزَّع لتمضية سهرة في الفضاء بين الكواكب والنجوم، كما تُوزَّع حالياً بطاقات لحضور حفلة عشاء أو زيارات للمسرح، بل الأكثر خطورة وغرابة من كل هذا هو عندما ستتيح لنا نظرية الكم إنتاج آلات كاملة بحجم الجزئيات مما سيهيئ لخبراء الكومبيوتر الشروع في حُلمِهم الكبير، وذلك بنسخ النماذج العصبية للدماغ على كمبيوتر تحت بند المشاريع المُسمَّاة (إعادة تشكيل وبِناء المخ البشري)، حيث سيكون الدماغ مزروعاً برقائق صغيرة جداً مصنوعة بتقنية النانو تكنولوجي، أي سيُصبِح الدماغ البشري كأنّه الـ (هارد ديسك)، وحسب قول العلماء فهذه الرقائق ستمنح قدرة فائقة للعقل البشري وكمّاً هائلاً من المعلومات لا تكاد تقارن بقدرات العقل البشري الحالية. إلى غير ذلك من طُرُق التحكم في تشكيلتنا الجينيّة وما سينتج عن هذه التقنية من مخاطر ومخاوف للتحكم في الشعوب والأفراد.

إذ يجب أن نَعرِف حقيقة غاية في الأهمية، فطموحات العلماء الآن لم تَعُد محصورة فقط في تلك الرغبة باكتشاف كل مجهول واختراع كل جديد بل انتقلت إلى هدف آخر يحمل معه العديد من المخاطر، ألا وهو رغبة الإنسان في السيطرة على قوانين الطبيعة، أي التحكم في المادة، وفي الحياة، وفي الذكاء، وتطويع هذه الأمور حسب أهداف الإنسان وأهوائه!!.

وهذا التحول الجدري في غاية العلم وأهدافه أتى كنتيجة حتمية مفترضة لما حصل مِن تطور وتضافر وتلاقح بين حقل الفيزياء وعلوم الحياة والكمبيوتر، فلقد استطعنا فك شفرة الجينوم، وحَطَّمنا الذرة، وتمكَّنَّا من تطوير الكمبيوتر.

إنَّنا فعلاً على أعتاب حقبة جديدة من العلم والمعرفة، لا تخلو من

مفاجئات ومغامرات ومخاطر، إنَّنا نعيش الآن - إن جاز لنا التعبير - على أبواب مخاض جديد للبشرية!!

ترى ماذا سينتظرنا من أخطار؟! وماذا يعني بالضبط (التحكم في المادة والحياة والذكاء؟)، وما هي بالضبط ثورة ((النانو)) التي سَتفتَح الباب لهذا المخاض الجديد للبشرية؟!.

■ ثورة النانوتكنولوجي:

إنَّ ثورة النانوتكنولوجي علم جديد قائم بذاته، يهدف إلى البحث في تقنية الأشياء المتناهية الصغر، أي في أُسس التكنولوجيا المجهرية الدقيقة[27].

وتعتمد هذه التقنية كمنهج خاص بها على آلية استمرار التَّصغير، فالنانو بمقياس العلم هو: (أدق وحدة قياس مترية معروفة لحد الآن) لجزء من ألف مليون جزء من المتر أي بقيمة واحد على بليون، فعندما نقول "نانومتر" فهذا يعني طولاً مقداره واحد على بليون من المتر.

فالنانوتكنولوجي مهمتها الرئيسية اختراع أجهزة متناهية الصغر والحجم، وذلك عن طريق التحكم في الذرات والجُزئيات داخل أي مادة، أي بمعنى أكثر وضوحاً ((تعديل البِناء الذري أو الجزيئي للمادة)).

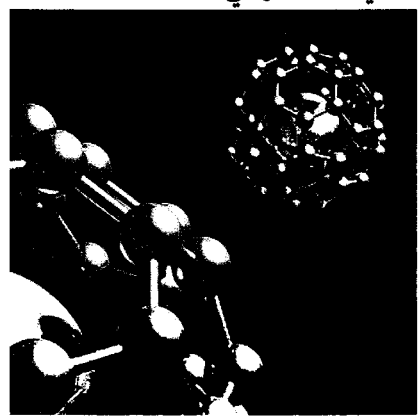

ولقد كانت أول شرارة لانطلاق هذه الفكرة، حين تَمَّ اختراع ميكروسكوب الطاقة الذرية Atomic Force Microscope الذي أتاح للعلماء فرصة رؤية الذرات

(27) انظر مقال . " تقنية النانو : أو " تقانة الصغائر " بموقع " ويكيبيديا".
كلمة نانو في الأصل كلمة يونانية وتعني القزم Dwarf.

والجزئيات، حينها تيقنوا أنَّه بإمكانهم (مستقبلاً) التحكم في ذرات وجزئيات أي مادة لصناعة أشياء مُغايِرة فائقة الدقة.

أما أول من تنبأ بهذه التقنية كان عالم الفيزياء الأمريكي ريتشارد فينمان Richard Feynman الحاصِل على جائزة نوبل في الفيزياء 1965، أمَّا المؤسس الفِعلي لها فهو عالم الفيزياء الأمريكي (اريك دريكسلر) مؤسس معهد استشراف النانو تكنولوجي في كاليفورنيا[28] صاحِب الكتاب الشهير «مُحركات التكوين أو الخلق»Engines of Creation ، الذي يُعد واضع حَجَر الأساس لآفاق هذه التقنية ومستقبلها المشرق الواعد، أو جانبها الآخر المُظلِم، فكم سيكون رائعاً ومدهشاً حين تتمكَّن آلات شديدة الصغر بحجم الجزيئات قادرة على صُنع آلات أخرى، وبالتّالي التناسخ ذاتياً، ولكن ماذا لو خَرَج الأمر عن سيطرة العلماء، وتولَّد عن ذلك التناسخ الذاتي مجموعة من الآلات الدقيقة التي يَخرُج استنساخها عن نطاق السيطرة، فينتج عن ذلك خليطاً من الآلات ((المستنسخة ذاتياً)) تَستهلِك كل شيء أمامها..!!

وعلى إثر هذا، عملت الجهات والهيئات المسئولة عن هذا المجال كمركز (جونيت لأخلاقيات الأبحاث في تورينتو بكندا)، بتحديد عدة شروط وأُسُس وتطبيقات هامة لهذه التقنية، نذكر منها على سبيل المثال:

1 - تطبيقات وآفاق هذه تقنية النانو:

- في المجال الصحي والطبي: تشخيص الأمراض ومتابعتها بفضل تطور الآلات على شكل كائنات متناهية الصغر قادرة على ولوج الخلايا، ودراسة التفاعلات داخلها والقضاء على خلايا السرطان، وإصلاح الخلايا الأخرى المُتضرِرة، وصُنع الأعاجيب، وكذا مراقبة الصحة، وتسليم الأدوية.

---

(28) انظر تعريف مؤسس معهد استشراف النانوتكنولوجيInstitute Foresight بالموقع الرسمي . (أون لاين) .http://www.foresight.org /
وأريك دريكسلر " Eric Drexler

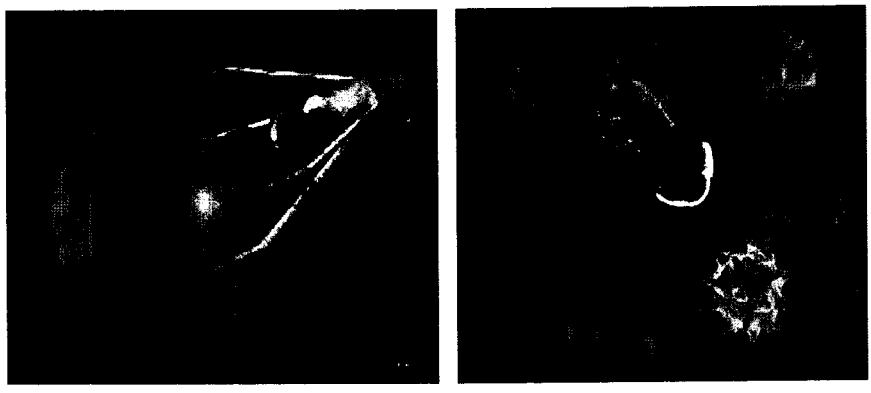

الشكل (**31**): أشكال لآلات (النانو روبو)
Les nanorobots

2 - وفي المجال البيئي: معالجة مياه الشرب، معالجة تلوث الهواء، البناء. وحل مشاكل البيئة في التقليل من آثار التلوث وغيرها من الوعود الكثيرة والكبيرة.

3 - في مجال الطاقة: إنتاج طاقة نظيفة وتخزينها وتحويلها كطاقة الشمس والرياح، وزِيادة كفاءة أنواع الطاقة باستعمال تقنية متناهية الصغر لتقليل تكاليف نقل طاقة الرياح أو الشمس والتوسع في صناعة أنابيب ((نانو الكربون)) التي وزنها أخف مِن وزن الفولاذ ب (6) مرات وأقوى وأصلب منه (100) مرة.

4 - في المجال الزراعي: تحسين الإنتاج الزراعي، مقاومة الآفات الزراعية، معالجة الطعام وتخزينه ونمو الثروة الحيوانية.

2 - ثورة النانو ومجال الفضاء:

تُوعِدنا ثورة ((النانو)) بِنجاحات كبيرة في مجال غزو الفضاء، فحسب توقعات العلماء ستُمكِّننا هذه التقنية مِن صناعة سيارات وطائرات بحجم النحلة أو حبة الأَرُز، وكذلك من بناء مركبات للفضاء مصنوعة مِن مواد ذات خصائص فريدة تستطيع أن تُشكِّل دِرعاً فعالاً للإشعاعات الخطيرة التي يَحفِل بها الفضاء الخارجي، وبالتّالي حماية رواد الفضاء من هذه الإشعاعات التي غالباً ما يكون مصدرها الشمس والنجوم أو مصادر الطاقة المنتشرة في الفضاء.

وستلعب علوم ((النانو)) أيضاً دوراً كبيراً ورائداً في الحفاظ على صحة رواد الفضاء الذين سيحتاجون إلى تطبيقات جديدة للحفاظ على صحتهم وهم على

بُعد ملايين الأميال من كوكبهم الأُم، هذا إضافة إلى مشاريع بناء محطات فضائية أو فنادق سياحية في الفضاء.

أما الأَمر المُدهش والغريب في نفس الوقت، هو تفكير العلماء بتسخير قوانين وتطبيقات علوم النانو في مجال بناء المَصْعَد الفضائي Space Elevator [29].

ففكرة هذه المصاعد (التي تُوصِل الأرض بالفضاء الخارجي) حُلم طالما خالج طموحات وأماني العلماء فأصبح الآن مع تطور تقنية ((النانو)) أمراً قابلاً للتحقيق في المستقبل القريب (بإذن الله تعالى).

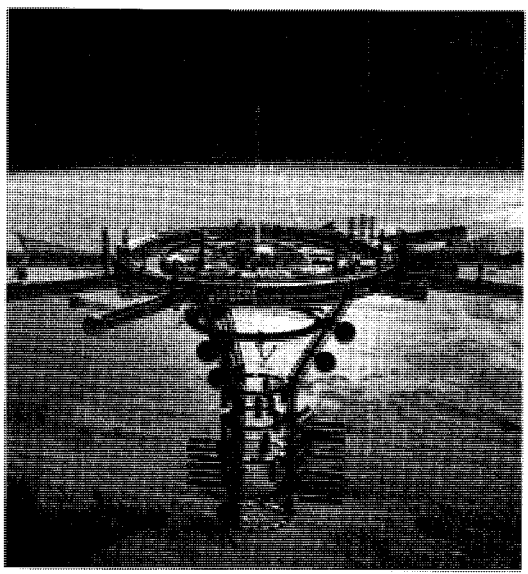

الشكل (32) رسم تخيلي لمصعد الفضاء

(29) انظر " ويكيبيديا" ومقال ." مصعد الفضاء "

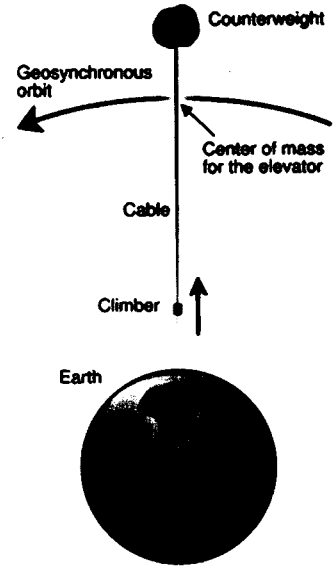

الشكل (33): المصعد الفضائي كما يتخيله العلماء هو بناء عظيم مبني على الخيال العلمي، يربط الأرض بالفضاء الخارجي.

وكما لاحظتم فإن أغلبية حقول العلم ستستفيد وبشكل كبير من علوم ((النانو)) في المدى القريب جداً، ولكن هناك في المُقابِل مخاوف وشكوك كبيرة من سوء استخدام مُخرَجات هذه التقنية في اتجاهات ومشاريع غير شرعية، ولقد بلغ الاهتمام بهذه الجوانب وهذه الآثار السلبية أشده، حيث عُقِد في السنوات الأخيرة (أكتوبر عام 2002) بجامعة رايس بالولايات المتحدة مؤتمراً خاصاً عن (أيام النانو) عولجت فيه كثير من المشكلات الاجتماعية والقانونية والتنظيمية التي يمكن أن تظهر على السطح إثر انتشار استخدام تلك التقنيات، كما عُقِدت عدة دراسات موازية تقوم بها هيئات بحثية متخصصة لتَقييم السلبيات والمخاطر الناجمة من استعمال المواد النانوية والحد من تأثيراتها السلبية في استعمالات غير أخلاقية وذلك لمواجهة أخطار المستقبل، وكذلك يعمل(معهد التوقعات المستقبلية) الملحق بجامعة سوينبرن في استراليا على التوعية من هذه المخاطر ومتابعة كل التطورات في هذا المجال، كما أنَّ المجلة المتخصصة في هذا المجال (النانوتكنولوجي ماجازين) تُخصِّص باباً مُنفرداً لعرض المشكلات الاجتماعية المُتوقَّع ظهورها

وتُطلِق عليه (مجتمع النانو).

بالفعل إنَّ هذه التقنية الجديدة لا يُمكِننا التنبؤ الكامل بنتائجها وتأثيراتها السلبية على البيئة والمجتمع والإنسان، فمِن المخاوف والهواجس التي تقلق راحة وبال العلماء، نذكر على سبيل المثال:

3 - مخاوف ومخاطر تقنيات ((النانو)):

■ مشاريع إعادة تشكيل وبناء المخ البشري:

مِن ضمن الأفكار والمشاريع المطروحة لتقنية ((النانو))، مشاريع لاختراع أنواع خاصة من ((الرقائق النانوية)) تحتوي على مختلف أنواع المعلومات الأساسية، سيتم زرعها في اللحاء المخي للأطفال والهدف من هذا المشروع تطوير منهجية التعليم والاستيعاب لدى الأجيال القادمة، لأنّ تلك اللوائح كما ذكرنا ستكون مُحمَّلة بكل المعلومات والبرامج الأساسية التي يحتاجها الطفل في سنوات تلقينه العلمي، مِمَّا سيُؤدي إلى تغيير نمط التعليم تغييراً جذرياً، بحيث ستقتصر عمليته على تفسير المعلومات المخزونة في عقل الطفل بدلاً من الانشغال والانهماك بحفظ واستيعاب تلك المعلومات كما هو حادث الآن، وهذا المشروع في حد ذاته يحمل معه كل أنواع المخاطر والمخاوف، فيكفي ما يحمله كعنوان ((إعادة بناء المخ البشري))، إنَّ العملية في حد ذاتها انتهاك صارخ لحرية الإنسان في عقله ودينه وبدنه، إذ ليس من المُستبعد أن يتم زراعة أنواع من الرقائق لتكون بمنزلة مجسات وآلات استشعار تُسجِّل لحظة بلحظة التغيرات الفسيولوجية والبيولوجية والسيكولوجية التي يَتعرَّض لها المرء في حياته اليومية فتكشفها للآخرين، وإنْ كان الأمر كذلك سوف يترتب عن هذا الكثير من المشاكل بين الناس لأنَّ هذه الرقائق سوف تفضح المشاعر الحقيقية التي يحرص الكثيرون على إخفائها، هي انتهاك صارخ لخصوصية الناس وحريتهم الخاصة، هو ((استعباد الكتروني)) بكُلِّ ما يَحمِل لفظ ((الاستعباد)) من أبعاد ودلالات، فيقول لنا (ميتشيو كاكو): "إنَّه سيتم حقن الكمبيوترات في الجسم البشري حيث ستكون مِثل حبة الأسبرين فيها راديو وتلفزيون وكاميرا للتصوير داخل الجسم وتحليله وإعطاء معنى جديد عنه، ولا ندري ونحن نتحدث الآن، إنْ كان هذا الأمر ما زال بعيد التحقيق،

أم هو حاصل الآن.

الشكل (34): شكل تخيلي لآلات نانو روبوت

■ صناعة الأسلحة الفتَّاكة:

ومن المخاوف التي تهز - أيضاً - مرقد العلماء، إمكانية تسخير مُخرجات هذه التقنية في صناعة أسلحة فتّاكة ((مُحرَّمة دولياً)) ذات الدمار الشامل تُستخدَم لإبادة الجنس البشري، والتي بإمكانها أن تكون أخطر بكثير من أي سلاح نووي أو بيولوجي أو قنبلة ذرية أو هيدروجينية عرفناها لحد الآن، بل الهاجس الأخطر هو إمكانية صناعة خليط من الأسلحة تجمع بين كل هذا، ومِن ثَمَّ الانتقال تماماً من الأسلحة الحديثة المعاصرة إلى السلاح المعتمد على تقنية النانو، في ظِلِّ قِوى عظمى تتنافس للسيطرة والهيمنة على العالم.

وبهذا الصدد كان لـ (الأدميرال ديفيد جرمايا) نائب الرئيس السابق لهيئة أركان الحرب الأمريكية كلمة أوضَح فيها بشكل كبير خطورة هذا الأمر بقوله: (إنَّ للتطبيقات العسكرية لتكنولوجيا النانو إمكانات أكبر من الأسلحة النووية في تغيير توازن القوي جذرياً، حيث يمكن التهام قوة معادية في ساعات قليلة بقطعان غير مرئية تقريبا لتريليونات من أجهزة الإنسان الآلي التي تنسخ نفسها وتتكاثر بهذه الطريقة)، إنَّ هذا يعني ببساطة أنَّ جيوش المستقبل لن تتكون من البشر بل من هذه الكائنات النانوية التي يُمكِن إرسالها إلى أيَّة بقعة معادية للقضاء على كل من فيها من بشر خلال ساعات قليلة، وقبل ذلك تكون أجهزة الكمبيوتر قد قضت على كل

أثر للمدنيَّة وطرق السيطرة في الدولة المعادية، من تدمير شبكات الاتصال والطاقة الكهربائية الخ، تكون المنطقة المستهدفة مهيأة تماماً لكي تقوم جيوش النانو يعملها).

هذا غيض من فيض مِمَّا يمكن أن تُسفِر عنه هذه التقنية من مخاطر في المجال العسكري والاستعمال اللاأخلاقي لها ولتطبيقاتها. ونستحضر هنا بعض الأمثلة لهته الاستعمالات وبعض الأفكار والمشاريع المطروحة:

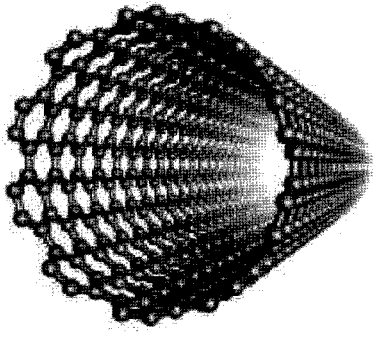

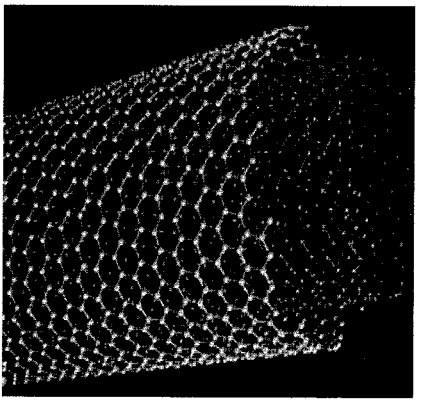

الشكل (35): أشكال هندسية لألياف الكربون نانوتوب
Les nanotubes de carbone

■ أمثلة لتطبيقات تقنية النانو في المجال العسكري - Nanomilitary [30]

1 - صناعة ملابس خاصة للجنود ذات حماية عالية تُلائم ظروف الحرب، مضادة للرصاص والشظايا، وتتناسب أيضاً مع تقلبات أحوال الطقس.

2 - طُبِّقَت هذه التقنية بالفعل في صناعة مواد خاصة لطلاء الطائرات في عمليات للتمويه وخداع شبكات الرادار، واستخدمت كذلك في مجالات التجسس والاستطلاع والكشف والتصوير لأهداف كثيرة!!..

3 - يَتِم التفكير والتخطيط في تسخير تقنيات ((النانو)) لصناعة غواصات صغيرة ذات مواصفات خاصة كقدرتها على تَحمُّل الصدمات الحرارية والميكانيكية المختلفة، وأيضاً صناعة طائرات وسفن بحرية دقيقة الحجم ذات سرعات فائقة

(30) انظر مقال (تقنية نانو العسكري) . أ.د. عبد الوهاب رجب هاشم صادق .موقع " جامعة الملك سعود " http://faculty.ksu.edu.sa/1834/default.aspx

تستوعب أعداداً كبيرة من العتاد والمُؤن والجنود.

4 - ومن المشاريع التي يخطط لها أيضاً: إنتاج طائرات التجسس صغيرة الحجم (بحجم كَف اليد)، أو على شكل لعب للأطفال، يمكن نصبها في أي موقع لتكون عالماً جديداً من عوالم الجاسوسية.

5 - كذلك إنتاج نوع خاص من المسدسات والمتفجرات والقنابل ذا أهداف متعددة واستعمالات عدة، فتّاكة ومتناهية الصغر والدقة.

6 - التخطيط لصناعة أقراص تُغيِّر عمليات الاستقلاب في خلايا أجسام الجنود، بهدف مَنحِهم القدرة على البقاء دون نوم أو طعام لأيام متعددة عند حالات الطوارئ والحرب.

7 - وفي مجال التجسس، التفكير في اختراع نحل قادر على اكتشاف المتفجرات.

8 - صُنع روبوتات تكاد تطابق الكائنات الحية، مُصمَّمة على غرار الصراصير، تستطيع التسلق على الجدران والسلالم والتضاريس الصخرية المختلفة.

9 - والأخطر من هذا كله، المشاريع التي تهدف إلى صنع أنظمة ترصد من مسافة بعيدة الحالة الذهنية للأشخاص المشكوك بهم، أو المرغوب بمراقبتهم والتجسس على أفكارهم، باستخدام تقنية قريبة من التصوير بالرنين المغناطيسي وسواه، بحيث تتمكَّن هذه الأنظمة من كشف نوايا الشخص وقراءة أفكاره مسبقاً.

وفي ختام هذا العرض الموجز عن ((النانو))، فهناك استعمالات واستخدامات كثيرة لا يمكن التطرق لها في هذه الإطلالة السريعة، ولكن ما يجب أن نعلمه أن الكثير من البلدان عَلِمت بأهمية وخطورة هذه التقنية، وأنْ ستكون لها آثار عظيمة على جميع حقول العلم، وعلى مصير البشرية بطريقة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً مِن قبل، وأنَّ وتيرة هذه التغيرات ستكون سريعة جداً ومتلاحقة، بشكل لا يصدقه عقل، لذلك عملت على تخصيص ميزانيات هائلة لتطوير بحوثها في هذا المجال، ويكفي أن نعلم أنَّ اليابان مثلاً قد خصَّصت مبلغ بليون دولار لتطوير أبحاث النانوتكنولوجي في الأعوام الماضية فقط، أمَّا أمريكا فقد خصصت مبلغاً هائلاً يُقدَّر بترليون دولار لتمويل أبحاث النانو تكنولوجي وذلك حتى العام

2015، كما أنَّ لدى أمريكا الآن جيشاً صغيراً من علماء النانو يُقدَّر عددهم ب **40000** عالم فقط.

■ تقنية ((النانو)) واعجاز آيات تسخير السموات والأرض:

ذكرنا في بداية هذا الفصل بأنّ الإنسان سيَتمكَّن من رؤية واكتشاف أغوار هذا الكون، بما ذلك رؤيتُه واستكشافُه للسموات السبع، بَيْد أنَّ العديد من الأشخاص حين يَتم طرح ((فرضية تحقيق هذه الفكرة والرؤية عليهم)) يقفون منها موقف المستنكر والمستغرِب لعدم قدرة عقولهم تَقبُّل واستيعاب أنَّ الإنسان سَيتمكَّن يوماً ما من قَطْع كُلِّ تلك المسافات الضوئية التي تَفصِلنا وأقرب المجرات إلينا، فكيف الأمر بباقي مجرات كل هذا الكون العظيم؟! وكيف الأمر بالانتقال إلى عوالم أخرى؟! فهذا الأمر بالنسبة لهم يَدخُل في نطاق المستحيل المُطلَق، لعدة أسباب وعوامل علمية وطبيعية، ولكن ونحن بطرحنا لموضوع ((النانو)) فلقد كان الهدف الأساسي منه تقريب بعض الحقائق العلمية والإنجازات العملية التي يُمكِن أن تُتِيحها لنا مِثل هذه التقنية، بما فيها التوصل إلى اختراع أدوات وإمكانيات تُؤهل الإنسان السفر حول هذه الكواكب والنجوم، واكتشاف أغوار هذا الكون، والمضي إلى أبعد الحدود في هذه الاكتشافات وهته المعرفة..!!

فكما لاحظتم - ونحن نستعرض آفاق هذه التقنية - كم مِن الأدوات تَمَّ اختراعها، وكم من المشاريع والأفكار يَتم حالياً التخطيط لها كصناعة سيارات وطائرات بحَجم النحلة أو بحجم حبَّة شعير، وبناء مركبات للفضاء ذات مميزات خاصة تستطيع توفير حماية كبيرة لرواد الفضاء من الإشعاعات المنتشرة في الفضاء، بما في ذلك اختراع أجهزة طبية تساعدهم على الحفاظ على صحتهم وهم بعيدون عن الأرض، وكذا مشروع اختراع المصاعد الفضائية، إلى غير ذلك من الأجهزة والابتكارات والآفاق التي توعدنا بها هذه التقنية، فإذن السفر عبر الفضاء الخارجي لم يَعُد في زمننا الحالي من باب المستحيل المطلق، فالمعطيات التي أمامنا تشير وتؤكد على أنَّ هذا ممكن، وممكن بشكل كبير جداً (بإذن الله تعالى).

1 - آية النفاذ من أقطار السموات والأرض:

يقول الحق تعالى ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن: 33]، حَملت الآية الكريمة آيات تحدي عظيمة من الله تعالى أن لا أحد إطلاقاً لا من الإنس ولا من الجن سيستطيع النفاذ من أقطار السموات والأرض إلا بسلطان من الله تعالى وبأمره، أي النفاذ في حد ذاته جائز. لحصره تعالى بأداة استثناء - ((لا تنفذون إلا بسلطان)) ولكنه مشروط بسلطان من الله تعالى، ولقد جاء في تفسير كلمة ((سلطان)) بنص الآية الكريمة بأنَّ السلطان هنا هو سلطان ((العِلم))، فبالعلم وما سَتُتِيحه لنا هذه المعرفة العلمية من اختراع واكتشاف معدات وأدوات علمية، سيتحقق معها هذا النفاذ ونتمكَّن من اكتشاف ومعرفة كل الفضاء الخارجي بما حَمِلت السموات السبع من أسرار وقوانين. فالنفاذ ((المنصوص عليه هنا في نص الآية الكريمة)) لا يكون فقط بمعنى النفاذ الجسدي (أي بالجسم المادي)، فهو يحمل أيضاً مفهوم (النفاذ العلمي). فالنفاذ كما يُستعمَل في اللغة ينقسم إلى قسمين: نفاذ يَظل مرتبطاً بالأصل، ونفاذ آخر ينفصل عن الأصل ويخترق الشيء إلى جهات أخرى مقابلة ومغايرة، فمثلاً نفاذ ((الأنفس) عند النوم يبقى له ارتباط وعلاقة بجسد صاحبِه لتَرجِع ((الأنفس)) إلى صاحبها (بإذن الله تعالى) عند استيقاظ الشخص، أما عند الموت (فالأنفس) يَتوفَّاها الله تعالى تخرج من الجسد ولا يبقى لها أي ارتباط به.

وكذلك ((الصوت)) فصوت أي إنسان أو مخلوق نجده ينفُذ بعيداً ليسمعه الآخر، ولكنه يَظل مُرتبطاً بصاحبه، فالنفاذ هنا ((نفاذ جزئي لمكنون الصوت)).

وإن حاولنا عرض أمثلة عن ما حقَّقه الإنسان من تقدم في مجال (النفاذ العلمي) لأقطار السماوات سنرى أنه حَقَّق نوعين من أنواع هذا النفاذ: فلقد صنع أقماراً ومراكب بقيت على ارتباط دائم بالأرض مِن خلال قوانين ونُظُم فيزيائية وفلكية خاصة، ونفاذ آخر كان بشكل النفاذ الكُلِّي بإرسال مراكب أخرى خاصة (مجهزة ببرامج استطلاع ومبرمجة للعمل في زمنية محدودة) إلى باقي الكواكب والمجموعة الشمسية، وانقطاع ارتباطها المادي بالأرض.

فهذا هو معنى النفاذ ومعنى كلمة ((سلطان))، ولقد تَمَّ تفسير كلمة (سلطان) أيضاً بمعنى بأمر من الله تعالى، فلا يستطيع الإنسان مهما أوتِيَ من علم أن ينفذ شبه خطوة من أقطار هذه السماوات والأرض إلاَّ بإذن الله تعالى وتحت إرادته، فكل ما

خلقه الله تعالى في هذا الكون لا يحدث ولا يكون إلاّ بأمر من الله تعالى (العلي العظيم).

وفي هذا قال ابن عباس رأياً وتفسيراً عظيماً يوضِح وبشكل جَلي وكافي معنى آية النفاذ فقال: (إِن اِسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الْأَرْض فَاعْلَمُوهُ، وَلَنْ تَعْلَمُوهُ إِلَّا بِسُلْطَانٍ أَيْ بِبَيِّنَةٍ مِنَ الله تَعَالَى).

فمثلا نحن استطعنا اختراع أدوات علمية أهلتنا لمعرفة مكونات وطبقات الأرض السبعة، لذا نحن نُعتبَر قد نفذنا فعلاً (نفاذاً علمياً) إلى باطن الأرض وأغوارها وتمَكَّنا من معرفة العديد من أسرارها، كما تمَكَّنا من اختراع أقمار فضائية وصواريخ ومراصد كبيرة ودقيقة أَمكنتنا من معرفة العديد والعديد من أسرار هذا الكون، وهانحن الآن نَقبع ونقف عند لغز (الثقوب السوداء، والمادة المظلمة، والثقوب الدودية) وهاهم الآن العلماء يحاولون جاهداً فك هذه الأسرار، لعلهم يصلون إلى معرفة بعض الحقائق تُمكِّنهم من فتح أسرار باقي الفضاء، أي ما يُطلَق عليه (باقي الأكوان)، لذلك هم يبحثون - الآن - في مساحة ما يرونه من فضاء مرئي عن شِبه ما يُسمَّى (أبواب فضائية) يَتقلَّص عند حدودها مفهوم الزمان والمكان (الثقوب الدودية)، والتي من خلالها (حين يتمكنون من رصدها) الولوج إلى الأكوان الأخرى، ولكي نفهم كُلّ هذه الأمور جيداً، لا بدّ من إلقاء إطلالة سريعة، عن مفهوم هذه الألغاز (لغز الثقوب السوداء، والمادة المظلمة، والثقوب الدودية) وستكون بدايتنا مع المادة المظلمة:

2 - المادة المظلمة والطاقة المظلمة:

كما سبق وأنْ ذكرنا في الفصل السابق، بأنَّ كل ما نراه من كواكب ونجوم (الجزء المرئي) لا يمثل إلا أربعة في المائة فقط من مجموع هذا الكون أمّا ما تبقى فهي مادة سوداء مظلمة خَفيَّة وغير منظورة، تُمثِّل حسب الخبراء أكثر من تسعين في المائة من مادة هذا الكون، بمعدل (74 % من الطاقة المظلمة، و22 % من المادة المظلمة).

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا بإلحاح: كيف تَمَّ التعرف ورصد هذه المادة والطاقة المظلمة والتأكد من وجودها فعلا؟!

وهي كما يقال عنها خَفيَّة لا تُرى؟! ولا تصدر أيّة أشعة ضوئية تُعِين الخبراء على معاينتها، بل إنها أكثر من ذلك لا تعكس الضوء ولا تتفاعل معه ولا تتأثر به على الإطلاق.

(الشكل 36): حسب الدراسات العلمية الحديثة فإنّ الطاقة المظلمة تمثل أكثر من 74% من الكون، بينما تمثل المادة المظلمة 22 %، وما تبقى أي (4 %) فقط هو كل ما نراه من هذا الكون!! [31]

الأمر مُحيِّر فعلاً.. وفي غاية الغرابة أيضاً !!

إنَّ قصة اكتشاف المادة المظلمة قصة حديثة مقارنة مع باقي اكتشافات هذا الكون، إذ لم يتجاوز تاريخها حدود العقود الأخيرة من هذا القرن (حوالي 75 سنة من تاريخنا)، والقصة بدأت حين لاحظ العلماء أنَّ سرعة المجرات تتزايد كل ما كانت المجرة بعيدة عنا، بعكس ما كان يتوقعون وبعكس ما تقول به كل الحسابات النظرية الدقيقة.

فكما هو معلوم وطبقاً للحسابات النظرية المعروفة في علم الفلك،

(31) الصورة والبيانات من موقع (فيتور سيوس) (online).

"lenergie-noire-controle-la-croissance-des-amas-de-galaxie"

http://www.futura-sciences.com//

المجرات كلما ابتعدت عن المركز كلما انخفضت سرعتها وسرعة دورانها، فمثلاً الكواكب القريبة من الشمس (مركز المجموعة) تدور بسرعة أكبر عن تلك البعيدة عنها، فهذا هو القانون العام المعمول به في كل الحسابات النظرية، بَيْد أنَّ العلماء لاحظوا (وبالأبحاث التجريبية) أنَّ المجرات كلما ابتعدت كلما ارتفعت وتيرة سرعتها على عكس ما هو متوقع، فلم يجد العلماء تفسيراً لهته الظاهرة إلاَّ الخروج بنظرية أو افتراض واحد يقول: بوجود مادة ما!!وطاقة ما!! تقوم بتسريع حركة المجرات بشكل كبير على عكس ما هو متوقع، فأطلقوا على تلك المادة وتلك الطاقة اسم: المادة المظلمة والطاقة المظلمة، لأنها تُعرَف فقط من خلال جاذبيتها وتأثيرها على المجرات الأخرى وحركة هذا الكون.

إنَّ هذه المادة المظلمة تُشكِّل بالفعل لغزاً محيراً للعلماء، فما زال لحد الآن (ومنذ أكثر من ربع قرن) الأبحاث مستمرة للكشف عن المزيد من حقائقها، والإجابة على العديد من الأسئلة، فكل ما هو معروف لحد الآن وبشكل عام أنَّ تلك المادة وتلك الطاقة تقود المجرات وِفْقَ نظام وتوزيع دقيق يُشبِه إلى حد كبير خيوط النسيج فتلك المجرات تَصطَّف وتتراص في ما بينها داخل نسيج محكم إحكاماً مبهراً ودقيقاً، يقول الحق تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ ﴾ [الذاريات: 7]، فكل هذه السموات السَّبع خلقها الله تعالى على شكل بناء شديد الإحكام، وهو كنسيج (الْحُبُكِ) قوي ومتماسك.

وهناك قوة عظمى (جاذبية) توجد بتلك المادة والطاقة المظلمة، هذه الطاقة تجعلها تقود تلك المجرات بسرعات كبيرة في اتجاه توسع واتساع هذا الكون، وكما نعلم (وكما تَمَّ بيانه في الجزء الأول من هذا الكتاب) ما جاء في باب حقيقة مكان ((وما بينهما)) حيث قلنا: إنه مكان بين كُلِّ سماء وسماء، ومن صفاته التي يجب أن يَحمِلَها هو احتوائه على قوة وطاقة عظيمة تؤهله إلى احتضان قوة وطاقة توسُّع كل سماء، وقلنا إنه لازماً أنْ يكون مكاناً كونياً ذا فراغ مادِّي؟ أي لا يحتوي لا على كواكب ولا على مجرات ولا أي شيء يمكن أن يتواجد في باقي السموات السّبع. وهانحن الآن ونحن نبحث في لغز وسر هذه المادة والطاقة المظلمة لاحظنا أن دورها الرئيسي أنها تقود المجرات نحو حركة التوسُّع التي يشهدها هذا الكون،

والمجرات بما حَوَت من حشود النجوم والكواكب هي فقط ضمن سمائنا الأولى (السماء الدنيا)، فهل إذن تلك المادة والطاقة المظلمة هي مكان ((وما بينهما)) الذي يَفرُق سمائنا الدنيا عن السماء الثانية التي تَليها؟ هذه إشارة علمية ورأي نطرحه بغية إثارة فكركم، ويكون لموقِعنا مساهمة ودور فعَّال للكشف عن سر هذه المادة، وبين أيدينا معجزة القرآن العظيم وما يحمل من حقائق وإشارات علمية يمكن من خلالها الوصول والكشف عن العديد من أسرار هذا الكون، وهاهم العلماء الآن يحاولون اكتشاف الطريق المُوصِل إلى معرفة الأكوان الأخرى، وأمامهم الآن هذه المادة والطاقة المظلمة، والأبحاث والدراسات ماضية لدراستها، حينها ستُفتَح لهم الأبواب كبيرة وعظيمة(بإذن الله تعالى) لاكتشاف ماهية المكان الذي يفرق بين كل سماء وسماء وبالتّالي الوصول إلى رؤية واكتشاف باقي السموات، اكتشافاً ونفاذاً علمياً بأَمر من الله تعالى جل جلاله.

3 - الثقوب السوداء:

الثقب الأسود هو بالأصل - كما عَرَّفه العلماء - أماكن في الفضاء تكونت إثر انهيار كبير للنجوم (وبمعنى أصح الثقوب السوداء هي جُثَث للنجوم..)، ويحدث انهيار هذا النجم حين تبدأ مادته بالانضغاط تحت تأثير جاذبيتها الخاصة وهو انهيار من نوع خاص يسمى (الانهيار بفعل الجاذبية)، وتستمر سلسلة هذا الانهيار حتّى يتحول هذا النجم إلى حجم صغير جداً ولكن باحتفاظه على نفس كُتلتِه، يُطلَق على هذا الحجم الصغير لقب (الجسم الحَرِج بالنسبة للكتلة)، فقوة ذلك الانهيار تُضغِط النجم وتجعله صغيرًا جدًا وذا جاذبية قوية وخارقة، ويزداد تركيز الكتلة أي كثافة الجسم (نتيجة تداخل جسيمات ذراته وانعدام الفراغ بين الجزيئات).

فيجب أن نعلم أنَّ معظم حجم الذرة بحالتها الطبيعية هو فراغ، والحجم الممتلئ منها نسبة للحجم الفارغ كحجم حَبّة شعير نسبة لمساحة قنطار منه، لذلك حين تتداخل الالكترونات (السالبة الشحنة) إلى داخل الذرات المنهارة وتتحد بالبروتونات (المُوجبة الشحنة) وتُشكِّل ما يسمى بالنيوترونات (بروتون + الكترون = نيوترون)، ساعتها سينعدم ما يسمى الفراغ البيني بين الجزيئات، فيتقلص حجم

النجم المنهار ولكن مع احتفاظه بنفس كتلته، ولتقريب حجم هذه المسألة لكم فيكفي أن نعرف أنَّ كُلَّ (1 سم مكعب) من النيوترونات الصافية الناتجة عن اتحاد الالكترونات والبروتونات يبلغ وزنه أكثر من (150) مليون طن!! فلنَتصور إذن كيف سيصبح حجم أي نجم انهار قياساً مع كتلته، فمثلاً لو تحولت الكرة الأرضية إلى ثقب أسود فستصبح في حجم كرة نصف قطرها (0. 9) سم أمَّا وزنها الهائل أي(كتلتها) سيبقى على ما هو عليه، ونجم قطره مليون ونصف المليون كلم سيتحول لنجم نيوتروني قطره (10) آلاف كلم فقط.

4 - مراحل تكوين الثقوب السوداء:

تختلف مراحل تكوين الثقوب السوداء حسب أنواع تلك الثقوب، فهناك عدة أنواع رئيسية منها حددها العلماء كالتّالي: (الثقوب السوداء العملاقة، الثقوب السوداء المتوسطة الكتلة، الثقوب السوداء النجمية، والثقوب السوداء الدقيقة).

فمثلاً تتكون الثقوب السوداء العملاقة: (وهي ثقوب ذات كتلة ضخمة تفوق بمئات آلاف المرات كتلة الشمس) على إثر نمو ثقب عادي بزيادة المادة التي يَجذِبها من الأجسام والنجوم المحيطة به، كما وهناك نظرية تقول إنَّ الثقوب السوداء تكونت عند بداية الانفجار العظيم.

أما الثقوب السوداء المتوسطة الكتلة: فهي ثقوب نادرة، وتُحِيط بها العديد من الألغاز في طريقة تكوينها، لأنَّ حجمها حجم متوسطي يَقع بين حجم الثقوب العملاقة والثقوب النجمية، وأكثر النظريات قبولاً في آلية تكوين هذه الثقوب كأن تكون مثلاً تشكلت إثر اندماج للثقوب السوداء النجمية مع أجسام مضغوطة أخرى بواسطة الإشعاع الجذبي، أو على أثر اصطدام لنجوم هائلة مع تجمعات نجمية كثيفة وانهيار نتائج هذا الاصطدام متحوّلاً إلى ثقب أسود متوسط.

أمّا الثقوب السوداء النجمية: فهي أكثر الثقوب السوداء شيوعاً ودراسة ومعرفة، وهي التي تَتشكَّل بانهيار النجوم الهائلة في نهاية عمرها، وتُرصَد هذه الحالات في الانفجارات الضخمة كانفجار سوبرنوفا أو انفجار شعاع غاما، وتُشكِّل هذه الثقوب قاعدة عامَّة لمعرفة طريقة انهيار أي نجم وتحوله إلى ثقب أسود، ويَتمُّ ذلك عبر مرحلتين:

* مرحلة تَحوُّل النجم إلى نجم النيتروني: في ما يُعرَف بـ(النجوم النيترونية)، حين تصل النجوم إلى مرحلة الشيخوخة وينفد وقودها بشكل تام جَرَّاء التفاعلات النووية الشديدة داخله فتقع في اضطراب كبير تَفتقِد معه الحفاظ على قُوَاها التوازنية تحت ضغط جاذبيتها الذاتية الهائلة (القوة المتوجهة إلى الداخل) مع القوة المتوجهة إلى الخارج (الناتجة عن استهلاك الوقود)، ساعتها تَتفجَّر هذه النجوم انفجارات عظيمة (سوبيرنوفا) مُطلِقة طاقة هائلة تؤدي إلى تفكيك تركيبة ذرات مادتها (مادة النجم الميت)، فتَتشكَّل النيترونات باندماج ذرات الالكترون والبروتون، فيتحول ساعتها النجم إلى نجم نيتروني.

*مرحلة تحوُّل النجوم النيوترونية لثقوب سوداء: هنا يقف العلم عاجزاً عن تقديم تفسير كامل ومنطقي عمَّا يحصل بداخل ذلك النجم أو أن نتابع بشكل دقيق انهيار ذلك النجم على نفسه مُشكِّلاً ثقب أسود، فسقوط أي نجم داخل الثقب يصاحبه خُفوت في لمعان الجسم (في نظر المراقب للحَدث)، وعندما سيصل إلى حافة الثقب سيكون أسود بالكامل بسبب الجاذبية الهائلة قرب هذا الثقب الأسود.

وبشكل عام فإنَّ أغلب التفسيرات تقول: إنَّ التصادم الدائم بين نيترونات هذا النجم يخلق منه نجماً ذا تركيبة غير ثابتة وشديدة الاضطراب، وباستمرار هذا التّصادم ترتفع الجاذبية بنواته فيتَحول بدوره إلى ثقب أسود.

5 - حقائق عن الثقب الأسود:

من المعلومات والحقائق الهامة التي تَوصَّل إليها العلماء حالياً بشأن ماهية هذه الثقوب أنها أولاً تجذب وتَبتلِع وتكنس كل ما تجده في طريقها (بفعل جاذبيتها القوية)، فهي إن جاز لنا التعبير تشبه المكنسة الآلية (التي تكنس وتبتلع كل ما يقع تحتها)، كما أنها تسير بسرعات كبيرة جداً تبلغ آلاف الكيلومترات في الثانية، وهي نجوم ثقيلة وشديدة الاختفاء فلا يمكن رؤيتها أبداً، أمّا الأمر الآخر الأهم، وكما هو معلوم (حسب النظرية النسبية العامة لأينشتاين)، أنَّ الضوء يَنحرِف تحت تأثير الجاذبية، بمعنى إنْ شاهدنا الضوء في فضاء فارغ فإنَّا نراه يمر بشكل مستقيم، وما يَكاد يصل إلى منطقة ذات جاذبية عالية حتى يَنحرِف من خَطِّه المستقيم مُشكِّلاً تقوساً وانحناء خاصاً، فالجاذبية هنا تعمل على تقويس الفضاء الذي يسير الضوء

فيه، أمّا في حالة الثقوب السوداء فإن هذا الثقب يَعمَل على تقويس الفضاء إلى درجة أنّه يمتص الضوء المار بجانبه بفعل جاذبيته، لأن جاذبيته تلك بلغت من القوة حداً لا يَقوى معها الضوء على الإفلات منها، بل لا يمكن لأي إشارة أو معلومة أو موجة أو جسيم الإفلات من منطقة تأثيره لذلك فهو يبدو أسود وكأنه شيء من (العَدَم)، أو كأنَّ تلك المنطقة هي نهاية لزمان ما؟!.. (انظر الأشكال: **39.38.37**)

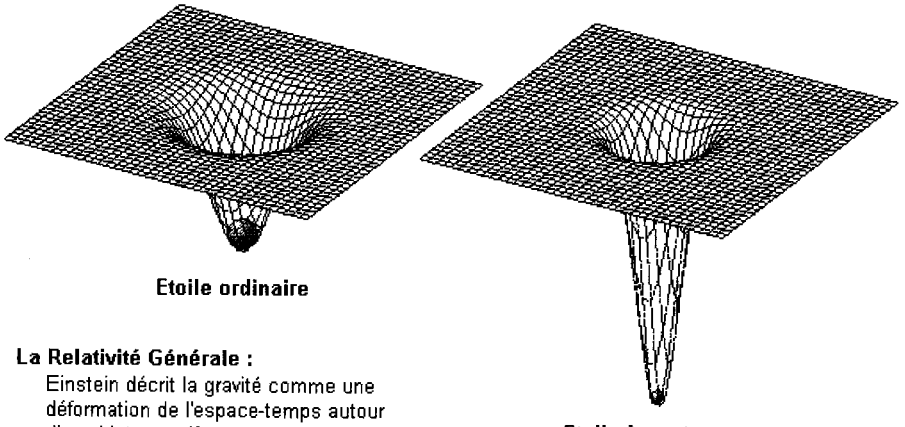

الشكل (37): حسب نظرية النسبية العامة لأينشتاين فالجاذبية ترتفع بازدياد كتلة أي جسم في الفضاء، وكلما ازدادت الجاذبية كلما ازداد انحناء (الزمكان)، فعن يسار الصورة شكل لنجم عادي (قبل تحوله إلى نجم نيوتروني) لم يكن له أي تأثير كبير على انحناء الزمكان لأن جاذبيته عادية، أمّا في حالة النجم النيتورني (الشكل على اليمين) فإنه ذا جاذبية كبيرة أدَّت إلى انحناء كبير (للزمكان)، أما في حالة الثقب الأسود ونظرا لجاذبيته الضخمة فإنه يعمَل على خرق صفحة هذا (الزمكان).

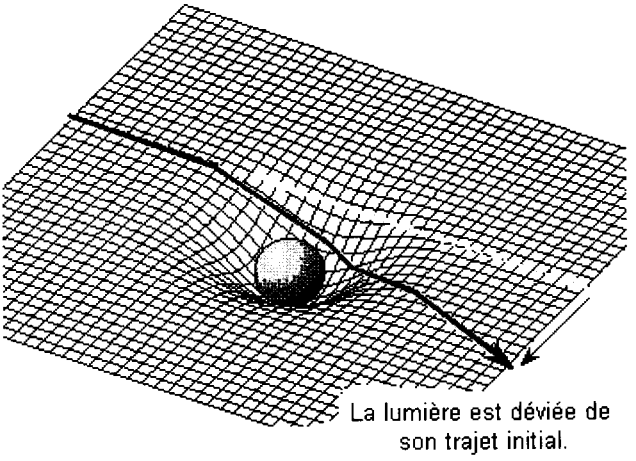

الشكل (38): يمثل الشكل انحناء الضوء تحت تأثير الجاذبية (السهم الأحمر) أما السهم الأخضر فهو مسيرة الضوء في ظروف اعتيادية. [32]

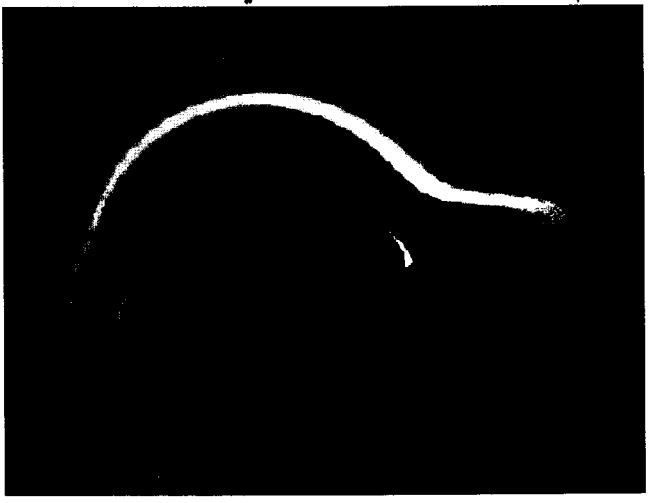

الشكل (39): شكل تخيلي لثقب أسود، وهكذا يبدو درجة انحناء الضوء فيه وقد أخذ انعراجاً كبيراً على شكل قبعة.

(32) الصور (37 - 38 - 39) هي من مقال "Le mystère des trous noirs" . أون لاين.
http://nrumiano.free.fr/Fetoiles/t_noirs.html

الشكل (**40**): ثقب أسود يظهر فيه شكل درجة انحناء الضوء

ما يهمنا معرفته من خلال خاصيات هذا الثقب هو ما أشرنا إليه سابقاً بأنه يُمثل: كأنّه منطقة من العَدَم تسقط فيها الأشياء دون عودة!!..

وهذا الأمر دفع العلماء للقول مادام كل شيء يسقط في ذلك الثقب ويهوي دون عودة، فلازماً أن تتواجد في الجهة الأخرى منه ثقوباً أخرى يخرج منها ذلك الجسم الذي هوى، أطلقوا عليها ((الثقوب البيضاء))، ومادام الأمر كذلك فيمكن الافتراض أيضاً أنّه يمكن للمرء القفز في ثقب أسود في مكان ما لِيخرُج من ثقب أبيض في مكان آخر، مِمَّا يفتح الأبواب (ولو نظرياً) لإمكانية السفر عبر الفضاء والانتقال إلى أكوان أخرى، فبعض العلماء قالوا - أيضاً - إنَّ الثقب الأسود يُشكِّل وكأنّه بوابة لمجرة بعيدة أو عالم آخر.

ومِن هنا ومن نظرية الثقوب السوداء والبيضاء كانت انبثاق نظرية الثقوب الدودية، فما هي هذه الثقوب؟! وما تقول تلك النظرية؟! وكيف يمكننا السفر عبرها؟!..

سنحاول عبر سطورنا القادمة تقديم إيجاز سريع عن ماهية هذه الثقوب والرد على جُل التساؤلات والآفاق والنظريات المطروحة حولها.

6 - الثقوب الدودية:

من وجهة نظر فيزيائية صرفة، فإنَّ الثقوب الدودية هي بمثابة ممرات أو جسور نظرية تختصر المسافة بين نقطتين بعيدتين في (الزمكان)، بحيث إنْ تَمَّ

اختصار هذه المسافة ووُجِدت تلك الثقوب فعلاً، سيفتح لنا ذلك آفاق كبيرة وشاسعة لإمكانية السفر عبر الفضاء وتكسير حاجز الضوء (أي السفر بأسرع من سرعة الضوء)، وسيكون بإمكاننا مثلاً الوصول إلى أقرب نجم أو مجرة لدينا في مدة قصيرة جداً تكاد لا تُصدَّق.

وبشكل - عَملي - فإن النظرية الكاملة لهته الثقوب تَشتمِل: (على ثقب أسود وثقب أبيض وكونان أو زمانان يَربِط بين أُفُق كُلاً منهما نَفَق دودي أو ثقب دودي).

وفي حوار أجري مع العالم(ميتشيو كاكو) حول ماهية هذه الثقوب قال فيه إنَّ: (هذه الثقوب تَنتُج من فراغ الزمان - مكان، ويمكنها أن توجد في أي مكان بالكون. ويعتقد العلماء أنه عند مسافة متناهية في الصغر تُقدَّر بـ (**10**) - **30** سنتيمتر يصبح الزمان والمكان أشبه بنسيج إسفنجي وهنا يُحتمَل أن يكون التركيب الشائع عند هذه المسافة الدقيقة جداً هو الثقوب الدودية أو فقاعات صغيرة أو حتى أكوان دقيقة جداً تظهر للوجود ثم تعود لتختفي..) واسترسل أيضاً: (الرياضي تشارلز دودجسون من جامعة أكسفورد هو أوَّل من أشار إلى مصطلح الثقوب الدودية وقد كان ذلك في مؤلف له كتبه للأطفال منذ ما يزيد على قرن مضى، حيث شَبَّه "المرآة " بأنها بمنزلة ثقب دودي تتطلع إليها وأنت في أَحَد الأكوان فإذا ما دخلتها أصبحت في كون آخر. فالثقوب الدودية تُعرَف على أنّها تُتِيح لمن يرتادها العبور بين الأكوان المختلفة. وقد تَنبأت نظرية النسبية لآينشتين بإمكان بناء مثل هذه الثقوب التي تُمكِّن من القفز عبر السنين الضوئية من مكان لآخر) [33].

وكخلاصة: تبقى نظرية هذه الثقوب الدودية أفكار (نظرية) محل دراسة مستديمة لمحاولة معرفة إمكانية وجودها واقعياً وحدود التعامل معها، فالكثير من العلماء لحد الآن يقولون باستحالة وجود مثل هذه الثقوب، وأنَّ عبور الثقب الدودي والانتقال مِن كون إلى آخر هو شيء يَدخُل في نطاق المستحيل، فحتّى إن افترضنا وتَمكَّن أي شخص أن يَعبُر أُفُق واحد فقط وفي اتجاه واحد مثلا لثقب أسود، فعليه أوّلاً أن يَنتظِر حتى يكون الثقبين قد اندمجا واجتمعت آفاقهم، ولكن

(33) انظر " أحمد بلح " / عن مجلة العربي العلمي الشهرية .

هذه الفرصة في حد ذاتها تُعتبَر فرصة شبه نادرة أو من باب المستحيل، لأنَّ الثقوب الدودية سريعة الظهور وسريعة الانهيار والتلاشي في نفس اللحظة!!..، وحتّى وإن افترضنا أنَّ هذا الشخص دخل من خلال أُفُق واحد لكن بعد أن يدخل لا يستطيع الخروج، إمّا مِن خلال ذلك الأفق أو مِن خلال الأفق الذي على الجانب الآخر، ويكون مصيره في هذه المخاطرة هو الموت في ذلك المجهول اللانهائي.

■ **الثقوب الدودية: وإعجاز آية** ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾.

ولكن من وجهة نظر أخرى فهناك إشارات إعجازية عديدة تزخر بها آيات القرآن العظيم تؤكد لنا إمكانية وجود مِثل هذه الثقوب الدودية والنفاذ عبر هذا النسيج الكوني العظيم وبالتّالي إمكانية السفر عبر أكوان أخرى، فهته الثقوب الدودية تُشبِه في ماهيتها ((أبواب السماء)) التي تُفتَح وتُغلَق بِأمر من الله تعالى وسلطانه، أي هي ((كبوابات زمنية)) تفصل بين كلّ كون وكون وسماء وسماء، أوالتي يمكن من خلالها أن نَنتقِل داخل كوننا من مكان إلى مكان آخر، يقول الحق تعالى ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجر: **14 - 15**]، وقوله عز وجل ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرحمن: **33**]، فقد أثبت العلم مؤخرًا أنَّ السماء فعلاً بناء شديد الإحكام عظيم الإتقان، مليء بالطاقة والمادة، ولا يحتوي على أيّ فراغات بداخله، لذلك لا يمكن اختراقه إلاَّ عن طريق هذه الأبواب التي تُفتَح، وهذا ما ذكره القرآن من خلال الآية التي نحن بصدد الحديث عنها، وغيرها من الآيات. وهذا إنْ دَلَّ على شيء فإنما يَدل على صدق وعظمة هذا القرآن العظيم، وأنّه المعجزة الخالدة، تنزيل من رب العالمين على قلب رسوله المصطفى الأمي الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وهكذا، فإنّه ليس مِن المستحيل وبإذن الله تعالى أن يَتم تطوير هذه العلوم، وتُهيّئ لنا تقنية ((النانو)) أدوات ووسائل أخرى جديدة تُمكّن الإنسان من السفر عبر هذه الثقوب بأمر من الله تعالى وسلطانه، وتكسير حاجز الضوء وحاجز الزمن

(الأرضي) واختراق أزمنة أخرى وقوانين أخرى.. وما ذلك على الله بعزيز.

■ - تقنية النانو وإعجاز القرآن في قوله تعالى (قادرون عليها) وظُهور الدجال:

1 - إعجاز آية ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾.

ذكرنا أن تقنية ((النانو)) ستُدخِل البشرية في مرحلة جديدة وجد متطورة من القدرات والتقنيات، التي لا تكاد تخلو من مفاجآت ومخاطر عِدّة؟؟ لا يعلمها إلا الله تعالى، فيكفي ما ذكرنا كأهداف وعناوين كبيرة لهته التقنية مشاريعها المدرجة حول:

((إعادة بناء المخ البشري))، وكذا ((طُرُق التحكم في تشكيلتنا الجينية))، والأخطر من هذا كله: ((طموحات العلماء الحالية للسيطرة والتحكم في قوانين الطبيعة، أي التحكم في المادة، وفي الحياة، وفي الذكاء، وتطويع هذه الأمور حسب أهداف الإنسان وأهوائه!!))، هذه المشاريع كلها تقودنا إلى حقيقة واحدة ومفهوم واحد، هي نزعة الإنسان نحو التمرد ومحاولته تغيير خلق الله تعالى، حتى يظن أنه امتلك كامل القدرة على الأرض والخلق والقوانين. وحين نَذكُر كلمة (يظن أنّه امتلك كامِل القدرة) تستحضرني هنا حقيقة عظيمة من حقائق آيات القرآن الكريم، التي حملت إشارة واضحة عن هذا الغيب الزماني الذي يدخل في نطاق الآيات والعلامات العظمى عن قيام الساعة، وإنهاء الحياة على وجه هذه الأرض مصداقاً لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس: 24].

* أَوَلَسنا على أبواب أن نَعيش حقائق آية ﴿ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾.

* أَوَ ليست مشاريع تقنية ((النانو)) مِن ضمن هذه المؤشرات.

* أَوَلَم تَفتَح هذه التقنية أبواب الجشع والطمع والاستغلال اللاأخلاقي

حتّى في محاولة التحكم في المادة والحياة؟

* أولن تجعلنا تقنية ((النانو)) نعيش الحياة المزخرفة، وتحيطنا بكل أدواتها الفائقة الدقة والذكاء، التي ستُقرِّب لنا البعيد، وتَجعلُنا نزور الفضاء كما نزور أبواب المسارح.

* ألن تصنع لنا هذه التقنية آلات شِبه آدمية تستطيع الفهم والتمييز أليس هذا هو مفهوم التحكم في الطبيعة ومحاولة تغيير خلق الله؟!

هذا كلُّه سَنعيشه.. ونراه، والأيام والأحداث تتسارع الآن أمامنا، فمادام العلماء عثروا على سر هذه التقنية؟ فالاختراعات ستتوالى صراعا، سنُغمِض أَعيُننا ونفتحها لنجد أنفسنا في عالم آخر لا نكاد نعرفه!!..

2 - علامات ظهور الدجال وتقنيات ((النانو)):

وليس هذا فقط فهته التقنية ونحن نرى آفاق استخداماتها، وكيف أنها ستُتيح لنا أن نختصر مسافة الزمن ونتمكن من كسر حاجز الضوء باختراع آلات قادرة على ذلك، هذا كلُّه يُشير لنا إلى إعجاز آخر شديد الأهمية، إذ سيصبح يوم بَعضِنا كيوم شهر أو سنة، فالمسافر إلى أجواء الفضاء أو بين الكواكب سيقضي في رحلته زمناً (لا يتجاوز يوم أو بضعة أيام) ليعود إلى الأرض ويرى أنْ مَرَّ عليها أكثر من شهر أو سنة، وهنا نستحضر آية من آيات ظهور الدجال في الحديث النبوي الشريف:

((حدَّثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن سابق حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال: - قال رسول الله يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا فيقول للناس أنا ربكم وهو أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر كفر فهجاة يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه وقامت الملائكة بأبوابها ومعه جبال من خبز والناس في جهد إلا من تبعه ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول الجنة ونهر يقول النار فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهي النار ومن أدخل

الذي يسميه النار فهو الجنة قال ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ويقتل نفسا ثم يحييها فيما يرى الناس لا يسلط على غيرها من الناس ويقول أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب عز وجل قال فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السحر فيقول يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل جني فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه قال فحين يرى الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله، حتى أن الشجرة والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي فلا يترك ممن كان يتبعه أحدا إلا قتله)[34].

* فانظروا إلى قول رسولنا الكريم (عليه أفضل الصلاة والسلام) وهو يُطلِعنا على هذا الإعجاز الغيبي المُبهِر باختلاف واختصار المسافات الزمنية التي سيعيشها هذا الدجال (وهو يسيح في الأرض) مقارنة مع أوقاتنا وأيامنا!! ((يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا))، فله أربعون ليلة (يسيحها في الأرض)، ولقد حملت كلمة (يسيحها) دلالة قوية على قدرة هذا الدجال الفائقة الطواف بكلّ الأرض طوافاً جارفاً، يشمُل كلّ بقعة في الأرض يسيح فيها كما تسيح المياه الجارفة وهي تغمر وجه البسيطة، ويستعمل في ذلك دابَّة (يركبُها) آلة عظيمة تُمكِّنه من اختراق هذه المسافات واختصار هذه الأوقات، مُتحكِّما بعُنصر الزمن مُخترقاً لحاجز الضوء حتى تُصبِح بعض أيامه كسنة من أيامنا، وأخرى كشهر من أيامنا، وباقي أيامه كأيامنا.

أوليس كل هذه الأمور ستَفتحُها لنا هذه التقنية، وسَتعيشُها الأجيال القادمة واقعاً ملموساً(بإذن الله تعالى)، بَلى.. فكل المؤشرات تقول بذلك، والفتن ستتلاحق، وما سينتظرنا ضِمن آفاق هذه التقنية لا يعلم أبعاده ومخاطره إلا الله عز وجل.

(34) انظر مسند الإمام أحمد ، ج3 / 367

■ وخُلاصة:

كان هذا ما حملته لنا (الحقيقة الخامسة) من هذا البحث، وفيها عرفنا جيداً جُل الألغاز الكونية التي يقف عندها العلم حالياً، وكيف أنّنا بهذا العلم سنستطيع أن نَنفُذ من أقطار (السموات والأرض)، ونُكسِّر حاجز الضوء، ونتمكن من الكشف عن لغز الثقوب السوداء والمادة المظلمة، والوقوف على أبعاد نظرية (الثقوب الدودية) وأيضاً محاولة العلماء التحكم في المادة وجشع بعضهم في محاولة (تغيير خلق الله تعالى)، وكيف أنّ كل هذه الأمور تَدخُل في باب الإشارات الإعجازية القرآنية لعلامات الساعة وظهور (الدجال).

وبهذا نكون قد استكملنا رؤيتنا العلمية المتواضعة في هذا - العمل المتواضع - وأَتينا على نهاية هذا الكتاب، لنختم برسالة ونداء نوجهه لعلمائنا الأفاضل (أعزهم الله تعالى).

خاتمة الكتاب:

القرآن الكريم

المعجزة الخالدة

يقول الحق تعالى ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: 15]، فالقرآن الكريم هو الكتاب المحكم، والمعجزة الخالدة، نَزَل به الروح الأمين على قلب الرسول الأمي الأمين (عليه أفضل الصلاة والتسليم)، معجزته لا تنقطع على مَرّ العصور والأزمان، عظيم البيان والبرهان، دقيق الأسلوب مُحكَم المعاني، نُظِّمت آياته وسوره كأنها عقد فريد، ونسيج عجيب، يتدفق الإعجاز في آياته وسوره تدفق العيون والأنهار، يقول الحق تعالى ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: 1]

تحدى ويتحدى في بيانه بلاغة الفصحاء، وعقول العلماء، فعجزت العرب رغم فصاحتهم بالإتيان بمثله لما فيه من حُسن بلاغة، وبراعة في الألفاظ ودقة في التشبيه وحُسن ترابط وتسلسل الأحداث والآيات والسور، قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر: 28].

ذهب بلب العلماء لروعة ترتيب آياته، ونُظُم أحكامه، وروائع دره فانكبوا يغرفون من حكم وإعجاز هذا الترتيب بطول تأمل وإعمال النظر، فألفوا بذلك نوادر الكتب، فكان مثلاً في علوم (المناسبات) كتاب (البرهان في علوم القرآن) للإمام الزركشي رحمه الله تعالى وكتاب (قطف الأزهار في كشف الأسرار) للإمام السيوطي رحمه الله تعالى... وغيرهم كثير.

والناظر إلى القرآن الكريم لَيعجَب كلَّ العجب من إعجازه وحسنه وكماله، فهو يُبهِر الناظر إليه مهما كانت الجهة التي ينظر إليه منها، فإذا نظر إليه دارس اللغة

وجده الكمال الأكمل لغة وبياناً، وإذا نظر إليه الدارس للتاريخ وجده المعجزة التاريخية نفسها، وإذا نظر فيه طالب العلم وجده الإعجاز العلمي ومائدة العلوم بذاتها وصفتها، وهو الكامل في بنائه الرقمي وفي معجزته الكونية، وقصصه القرآنية.

وإنَّ الله - عز وجل - تحدّى كل البشر، ومعهم كل الجن، بأن يَأتوا بمثل هذا القرآن وأنْ لا قدرة لهم على ذلك مهما حاولوا وتعاونوا وكان بعضهم لبعضهم ظهيراً، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: 88].

فالقرآن الكريم اجتمع في جوانبه الكمالية ما لا يستوعبه عقل ولا يدركه قلب، فلقد جعله الله تعالى شفاء للقلوب، ورحمة ونور، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس: 57]، فهو يخاطب بذلك بنوره وكماله العقل والقلب معاً.

ولأنَّ القرآن معجزة الرسالة الخاتمة لكلِّ زمان ومكان، كان لازماً أن يَبقى مشعاً بالمعجزات إلى أن تقوم الساعة، فنجده في ذلك يخاطب دوماً العقل ويحثه على التفكر في خلق السماوات والأرض، وإمعان النظر في النفس والآفاق، لاكتشاف أسراره ومعجزاته وجعل ذلك وسيلة للوصول إلى الإيمان، يقول الحق تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: 185].

ونحن - انطلاقاً من هذه الدعوة الربانية العظيمة - فإنّنا ندعو كل علماءنا الأجلاء بجميع تخصصاتهم وتوجهاتهم إعطاء المزيد من الأولوية بتخصيص آلية للبحث (علمية وعملية تطبيقية) يَتم من خلالها الكشف عن ما تَزخر به آيات القرآن الكريم من إعجاز مبهر وعظيم، يخدم شتى العلوم وِفق منهج تطبيقي دقيق وواضح، فيكون لنا بذلك السبق العلمي في الكشف عن العديد من الألغاز، التي ما زال يقف العلم عند أبوابها حائراً مُتحيراً.

فهاهو - كمثال متواضع - هذا المؤلف وقد وضع بين أيديكم بعض من تلك الحقائق والأسرار التي ستقودنا إلى حل العديد من الألغاز العلمية، عن طريق منهج

صحيح للاستنباط والمعرفة يصل بنا إلى بَرّ آمن من الحقائق العلمية والمعرفة الكونية.

ويكفينا - كختام لهذا العمل - استحضار مَعالِم هذا الحديث الشريف المبارك الذي يُعرِّفنا بفضائل القرآن الكريم العظيمة وبحقيقة ما ذهبنا إليه كنداء: ((عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنها ستكون فتنة قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى الصراط المستقيم)).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، نحمده تعالى ونشكره أن يسرنا لهذا العمل ووفقنا إليه، فالله نسأل أن يجعله خالصاً لوجه الكريم، وأن يرزقنا اللهم العون والإخلاص في القول والعمل.

الباحثة وديعة عمراني

كلمة شكر

بسم الله الرحمن الرحيم

في ختام كلمة هذا الكتاب، لا يسعنا إلا أن نقدم كلمة شكر وامتنان إلى كل من ساعدنا في إخراج هذا العمل المتواضع وهذه الدراسات العلمية، وقدم لنا كل معاني الدعم والتشجيع من أجل ذلك، ونخص بالذكر أسرتنا الكريمة ومحيطنا العائلي أصل كل استمرار وعطاء، ومحيطنا العلمي المعرفي من العلماء والباحثين الأفاضل أصل العمل في سبيل الله خدمة لكتاب الله وسنة ورسوله ﷺ، كما نقدم الشكر الجزيل إلى العاملين والآخذين على عاتقهم نشر هذا العمل والتعريف به، وتعاونهم الخيِّر معنا وفتح أبواب مؤسستهم الخاصة - للنشر - لدعم هذا العمل خدمة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأدام الله على الأمة الإسلامية أواصر هذا التعاون وهذا الخير، ونسأل الله تعالى الإخلاص والعون والسداد.

الباحثة وديعة عمراني سوهلي

أهم المراجع العلمية

■ مراجع عربية:

(1) مقالة د. راغب السرجاني بعنوان " معجزة الإسراء والمعراج " على موقع قصة الإسلام والمتوفرة على الرابط:

http: //www. islamstory. com/pagination. php?type=articles&cat_id=166

(3) تفسير (ابن كثير، القرطبي، الجلالين، الطبري) من أمهات كتب التفسير على موقع الإسلام "لوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد"، وعلى موقع "تفسير القرآن الكريم"، بالروابط: http: //quran. al - islam. com/arb/

http: //quran. muslim - web. com/

(4) مقالة أ. محمد إسماعيل عتوك بعنوان "الفرق بين الخلق والفطر " على موقع البيان

http: //www. bayan7. com/bayan888/index. php

■ مراجع أجنبية:

(6) مقالة عن قصة الزوجين (بارني وبيتي هيل) بموقع ويكيبيديا والمتوفرة على الرابط: http: //fr. wikipedia. org/wiki/Betty_et_Barney_Hill

(7) قصة حادثة "روزيل الشهير " بموقع ويكيبيديا، والمتوفرة على الرابط http: //fr. wikipedia. org/wiki/Affaire_de_Roswell

(8) الصور لحادثة "روزيل" من موقع أسترو سورف "، متوفرة على الرابط http: //www. astrosurf. com/luxorion/ovni - roswell. htm

(9) موقع العالم (جان بيتيت) Jean - Pierre Petit

http: //www. jp - petit. org/

(11) مقالة" رسائل زوار كوكب "يومو" عن ديانتهم " من موقع(أومو سيوس) متوفرة على الرابط: http: //www. ummo - sciences. org/fr/D21. htm

(12) مقالة "شهادة العلماء وقولهم عن معتقدات زوار كوكب يومو "، متوفرة على الرابط

http: //pagesperso - orange. fr/ummo. textes - essentiels/f011. htm

(13) مقالة " Les nuages lenticulaires ou nuages d'onde orographique"من موقع ويكيبيديا، متوفرة على الرابط: http: //fr. wikipedia. org/wiki/Altocumulus_lenticularis

وأيضا من موقع (astrosurf)، متوفرة على الرابط:

http: //astrosurf. com/luxorion/meteo - nuages. htm

(14) مقالة هارون يحيى " VESTIGES ETONNANTS DE CIVILISATIONS ANTIQUES "

وكذا تفاصيل الخبر على موقع (ايدي 5) متوفرة على الرابط:

http: //www. ldi5. com/news/3. php

(15) مقالة " Des Ovnis ressemblant à un hélicoptère et à un avion sur les murs des Anciens Egyptiens". بموقع (اوفني 007)، متوفرة على الرابط:

http: //www. ovni007. com/id27. html

(16) نفس المصدر السابق، ومقال "Les Objets volants " على موقع (ايدي 5)

http: //www. ldi5. com/archeo/ov. php#insolite

(17) الصور (11) و(10) من الموقع العلمي " La lente évolution des galaxies"، متوفرة على الرابط:

http: //nrumiano. free. fr/Fgalax/elliptiques. html

(18) الصور (12. 13. 14) من نفس المصدر السابق.

(19) الشكل (15. 16) من الموقع العلمي " " Linternaute "، متوفرة على الرابط

http: //www. linternaute. com/science/

(20) مقالة " lenergie - noire - controle - la - croissance - des - amas - de - galaxie " من موقع (فيتور سيوس)، متوفرة على الرابط:

http: //www. futura - sciences. com/

(21) الصورة (18) و(19) من موقع nasa. Gov ، والموقع الرسمي للمرصد الفضائي " هابل "، متوفران على الروابط:

http: //antwrp. gsfc. nasa. gov/apod/ap030814. html
http: //hubblesite. org/newscenter/archive/releases/2007/17/full/

(22) التعريف: دافعة أرخميدس

(23) مقالة "Structure de la Terre" من موقع (القاموس المرئي)، متوفرة بالرابط

http: //www. ledictionnairevisuel. com

(24) مقالة (التكوين الداخلي للأرض) متوفرة على الرابط:

http: //www. ocean. asso. fr/dossiers/tsunami%20Jenifer/globe. htm

ومقالة " حقائق جديدة عن الجبال " من موقع موسوعة الإعجاز العلمي.

(25) الموقع الرسمي للعالم " ميتشيو كاكو": http: //mkaku. org/

(26) رؤى مستقبلية - كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين. ميتشيو كاكو. ت: سعد الدين خرفان. الكويت: عالم المعرفة 270

(27) مقالة. " تقنية النانو: أو " تقانة الصغائر " من موقع " ويكيبيديا"

(28) تعريف مؤسس معهد استشراف النانوتكنولوجيInstitute Foresight

بالموقع الرسمي http: //www. foresight. org/

(29) انظر " ويكيبيدبا" ومقال. " مصعد الفضاء "

(30) مقالة " تقنية نانو العسكري ". أ. د. عبد الوهاب رجب هاشم صادق. موقع جامعة الملك سعود " http: //faculty. ksu. edu. sa/1834/default. aspx

(31) مقالة " lenergie - noire - controle - la - croissance - des - amas - de - galaxie " - من موقع (فيتور سيوس)، متوفرة على الرابط http: //www. futura - sciences. com/

(32) الصور (37 - 38 - 39) من مقال "Le mystère des trous noirs "، متوفرة على الرابط: http: //nrumiano. free. fr/Fetoiles/t_noirs. html

(33) مقالة "حوار مع العالم ميتشيو كاكو: هل سيموت الكون متجمدا في الجليد ". أحمد بلح " / عن مجلة العربي العلمي الشهرية.

(34) مسند إمام أحمد، ج3 / 367.

◈◈◈

السيرة الذاتية للمؤلف

وديعة عمراني باحثة إسلامية في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، من مواليد مدينة فاس (عام **1968**) - المملكة المغربية.

■ المؤهل العلمي:

بكالوريوس علوم من (مؤسسة ابن الهيثم) فاس، حاصلة على شهادة الدراسات العامة الجامعية في العلوم الجيولوجية والبيولوجية (تخصص علوم أحياء)، بالإضافة إلى شواهد تقنية في لغة البرمجة الحاسوبية والمحاسبة وإدارة الشركات.

■ العمل الحالي:

باحثة متفرغة في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية (ومجال الدعوة).

■ النشاط العلمي:

المشاركة الرسمية في المؤتمر الثاني للهيئة المغربية للإعجاز العلمي بالرباط سنة **2007**، حضور عدة فعاليات علمية، ولديها العديد من الأبحاث والاكتشافات العلمية الجديدة في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة منشورة بالمواقع الرسمية للإعجاز العلمي، ومشاركة في عمل جماعي في إصدارات لبعض الباحثين والعلماء.

■ من الكتب الحديثة المؤلفة:

كتاب (بيان القرآن الكريم في تبيان ألغاز الكون العظيم) الصادر سنة **2009**.

■ قائمة ببعض الأبحاث المنشورة في المواقع الرسمية:

- بحث (النمل والدفاع عن النفس).
- بحث (منطق الطير).
- بحث (الجلد.. ذلك الشاهد الأكبر؟!) من ثلاثة أجزاء مُدرجة في الكتاب الجديد "بيان القرآن الكريم في تبيان ألغاز الكون العظيم").
- بحث (القول الأوفى في بيان الصلاة الوسطى).
- بحث (قضية زواج المسيار) بيان علمي.

- مبحث (شبهة اضطهاد الإسلام للمرأة وقضية نشوز المرأة والرجال).
- بحث (وظائف الأشجار بين العلم والقرآن).
- بحث (أنفلونزا الخنازير) الجزء الأول.
- بحث (أنفلونزا الخنازير) الجزء الثاني (ملف خاص).
- بحث (لقاح أنفلونزا الخنازير - ما لهُ وما عليهِ) (ملف خاص).
- مبحث (نظرية الانفجار العظيم: مقارنة نظرية بين الحقائق القرآنية والاجتهادات العلمية).
- مبحث (أصحاب الرقيم).
- بحث علمي (قضية قوم لوط واستخراج دواء لمرض الإيدز) دراسة علمية. والعديد من الأبحاث الأخرى المدرجة في مواقع الإعجاز العلمي.

■ مشاريع مقتربة: كتب تحت الدراسة والنشر:

2 - موازنة مع هذا تعكف " الباحثة " على بعض الدراسات والأبحاث الخاصة التي ستصدر على شكل موسوعة علمية (مؤلف جديد) يناقش أسباب "سقوط وانهيار الحضارات " في مقارنة علمية بين الدراسات التاريخية وحقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (الكوارث وهلاك الأمم الضالة).

وكذلك العمل على العديد من الدراسات والاكتشافات العلمية الجديدة في مجال الإعجاز العلمي، وبعض المشاريع الجماعية المقتربة مع الإخوة العلماء والباحثين والله ولي التوفيق.

التواصل -

البريد الالكتروني: fajrealimane@yahoo. fr

الموقع الالكتروني: http: //recherchecoronique. blogspot. com

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعلموا العلم فإن تعلُّمه لله خشية، وطلبه عبادة

ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه

صدقة، وبذله لأهله قربة.

صدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام

فهرس المحتويات

الإهداء 3

مقدمة 5

عناوين الحقائق 8

مدخل 8

البحث في سر إعجاز: (وما بينهما) 8

عناوين الحقائق 8

الحقيقة الأولى.. سر توسع السماء مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات: 47] 10

الحقيقة الثانية.. الفرق بين مكان ((وما بينهما)) وبين السموات والأرض (سر مكان تواجد مخلوقات الله تعالى) 17

الحقيقة الثالثة.. المخلوقات الفضائية وسر الأطباق الطائرة!! 71

الحقيقة الرابعة.. تسخير السموات والأرض ((هل سيتمكن الإنسان من رؤية السموات السبع؟!)) 94

الحقيقة الخامسة.. أين نقف على عتبات هذا الكون؟!.. (لغز الثقوب السوداء، المادة المظلمة، الثقوب الدودية!!..) 115

خاتمة الكتاب 148

كلمة شكر 151

أهم المراجع العلمية 152

السيرة الذاتية للمؤلف 155

فهرس المحتويات 157

THE HIDDEN SECRETS OF
﴿AND ALL THAT IS BETWEEN﴾
IN THE SIGNS OF HEAVENS AND EARTH

The mystery of place.....
And the inimitability of the Holy Coran

by
Ouadia Amrani

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban